الدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي وأثرها في فساد المعتقد

مسابقة
القرآن الكريم والسنة النبوية

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

العدد ٤٤٧ - السنة الثامنة والثلاثون - ربيع أول ١٤٣٠ هـ - الثمن ١٥٠ قرشاً

البنوك الربوية والمضاربة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة الثامنة والثلاثون العدد ٤٤٧ ربيع أول ١٤٣٠ هـ

غلاف العدد

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبدالله شاكر

اللجنة العلمية
د. عبدالعظيم بدوي
زكريا حسيني محمد
جمال عبدالرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦



"السلام عليكم"

القضاء أو الجنون !!

في الحديث الصحيح قال نبينا الأمين ﷺ: «مَن جُعِل قاضيًا بين الناس فقد ذُبح بغير سكين». ومع هذا يتسابق الناس إلى منصب القضاء، وينفقون الرّشوات في الحصول عليه، جهلاً منهم بخطر ذلك المنصب على مَنْ تَقَلَّده، يحسَب أن منصبه أخلَدَه، والأخيار - رحمهم الله - كانوا يعرفون السلوك الأسدّ، فيفرون من القضاء فرارهم من الأسد.

عن أبي مَعْشَر أنَّ رجلاً حَلَفَ أن لا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لمَا قاسى من بلاء النساء، فاستشار تسعة وتسعين نفسًا وبقي واحدة، فخرج على أن يسأل أول مَنْ نظر إليه، فرأى مجنونًا قد اتخذ قلادة من عظم، وسَوَّد وجهه وركبَ قَصَبَة، فسلَّم عليه وقال: مسألة؟ فقال: سَلْ ما يعنيك وإياك وما لا يعنيك، فقلت: إني أصبتُ من النساء بلاءً، وحلفتُ ألا أتزوج حتى أستشير مائة نفس، وأنت تمام المائة، فقال: اعلم أن النساء ثلاث ؛ واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التي لك فشابةٌ لم تمس الرجال فهي لك لا عليك، إن رأت منك خيرًا حمدت، وإن رأت منك شرًا قالت: كل الرجال هكذا. وأما التي عليك فامرأة ذات ولد مِنْ غيرك، فهي تسلخ الزوج وتجمع لولدها، وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك، فإن رأت خيرًا قالت: هكذا يجب، وإن رأت شرًا حنت إلى زوجها الأول. فقلت: سألتك بالله ؛ ما الذي غَير مِن أمرك هكذا ؟ قال: ألم أشترط عليك ألا تسأل ما لا يعنيك ؟ فأقسَمْت عليه، فقال: إني رُشِّحْتُ للقضاء فاخترتُ ما ترى على القضاء !!

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

■ رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

■ مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

■ ثمن النسخة
مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

■ الاشتراك السنوي
١- في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

■ البريد الإلكتروني
المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

في هذا العدد

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

م.دار الجمهورية للصحافة



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء، وقد اعتاد الجهلاء والسفهاء أن يهونوا من أمر الدعاء معتقدين أن من يأمر المسلمين بالدعاء علي عدوهم يكتفي بالدعاء ولا يأخذ بسائر أسباب النصر من إعداد العدة ,والصبر والثبات وتقوى الله عز وجل كما في قول الله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ» [الأنفال: ٦٠]، وقوله تعالى: «بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ» [آل عمران: ١٢٥].

وإذا كان النصر من عند الله العزيز الحكيم فقد أمر الله عباده المؤمنين أن يطلبوا منه النصر، وأن يستغيثوا به سبحانه، وأن يلحوا في الدعاء.

فإن الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء، قال تعالى عن طالوت وجنوده: «وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة:٢٥٠]. فماذا كانت النتيجة: «فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ» [البقرة:٢٥١].

قال الله تعالى: «أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٢٨٦].

فشأن المولى أن ينصر مولاه ,وفيه إيذان بتأكيد طلب إجابة الدعاء بالنصر، لأنهم جعلوه مرتّباً على وصف محقّق، ألا وهو ولاية الله تعالى للمؤمنين، قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» [البقرة: ٢٥٧] وفي حديث يوم أحد لمّا قال أبو سفيان: «لنا العزّى ولا عزّى لكم» قال النبي ﷺ «ألا تجيبوه ,قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». ووجه الاهتمام بهذه الدعوة أنّها جامعة لخيري الدنيا والآخرة ؛ لأنّهم إذا نصروا على عدوهم، فقد طاب عيشهم وظهر دينهم، وسلموا من الفتنة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وقال تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)» [آل عمران: ١٤٦- ١٤٨]

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٥]

والمعنى: إذا لقيتم جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم - والثبات هو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي والفرار- وكونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكراً كثيراً بقلوبكم وألسنتكم.

فأمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين أن يذكروه في أشد الأحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله , وفيه تنبيه على أن المؤمن لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله.

وقيل: المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى، فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء.

وعن النعمان بن مقرن أن النبي ﷺ كان إذا لم يقاتل في أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر. [أخرجه أبو داود في الجهاد ٤ / ٧ والترمذي في السير ٥ / ٢٣٨ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ٢ / ١١٦ وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي].

وفي البخاري: «انتظر حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات».

وفي فتح فارس قال النعمان للجند: يا أيها الناس أهتز ثلاث هزات فأما الهزة الأولى فليقضي الرجل حاجته، وأما الثانية فلينظر الرجل في سلاحه وسيفه، وأما الثالثة فإني حامل فاحملوا فإن قتل أحد فلا يلوي أحد على أحد، وإن قُتلت فلا تلووا عليّ، وإني داع الله بدعوة فعزمت على كل امرىء منكم لما أمَّن عليها، فقال: اللهم ارزق اليوم النعمان شهادة تنصر المسلمين، وافتح عليهم، فأمَّن القوم، وهز لواءه ثلاث مرات، ثم حمل فكان أول صريع رضي الله عنه وفتح الله على المسلمين.

وفي الآية مع الأمر بالذكر والدعاء الأمر بطاعة الله والرسول ,والأمر بالصبر والثبات ,والنهي عن التنازع والفرقة والشتات المؤدي الى الهزيمة والضعف.

وقال تعالى: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» [الأنفال: ٩].

قال أَبُو زُمَيْلٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ». فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ» فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ أَقْدِمْ حَيْزُومُ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ. فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «صَدَقْتَ ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ». فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ وَأَسَرُوا سَبْعِينَ. [رواه مسلم].

وفي صحيح مسلم باب اسْتِحْبَابِ الدُّعَاءِ بِالنَّصْرِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».

قال القحطاني: إن من أعظم وأقوى عوامل النصر الاستغاثة بالله وكثرة ذكره، لأنه القوي القادر على هزيمة أعدائه ونصر أوليائه، قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» وقال: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» وقال: «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ».

وقد أمر الله بالذكر والدعاء عند لقاء العدو، قال تعالى: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، لأنه سبحانه النصير فنعم المولى ونعم النصير «وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه في معاركه ويستغيث به سبحانه، فينصره ويمده بجنوده، ومن ذلك قوله: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، مجري السحاب، هازم الأحزاب، اهزم الأحزاب،

اللهم اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم».

وكان يقول عند لقاء العدو: «اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل».

وكان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قال له الناس: إن الناس قد جمعوا لكم»، وهكذا ينبغي أن يكون المجاهدون في سبيل الله تعالى لأن الدعاء يدفع الله به من البلاء ما الله به عليم. [الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى للقحطاني].

وفي معركة ملاذ كرد سنة ٤٦٣ هـ خرج ملك الروم (رومانوس) في جمع كبير من الروم والروس والكرج والفرنجة وغيرهم من الشعوب النصرانية، حتى قدر ذلك الجمع بثلاثمائة ألف جندي، أعدهم الإمبراطور لملاقاة السلطان السلجوقي ألب أرسلان، الذي ما إن علم باقتراب الروم ومن معهم حتى استعد للأمر واحتسب نفسه ومن معه، وكان في قلة من أصحابه لا تقارن بعدد الروم وأتباعه قيل إنهم قرابة خمسة عشر ألفاً، ولم يكن لديه وقت لاستدعاء مدد من المناطق التابعة له وقال قولته المشهورة: أنا أحتسب عند الله نفسي إن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر أصبح وأمسي ,ومن حواصل النسور الغبر رمسي، وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي، ويومي خير من أمسي، وهجم بمن معه على مقدمة الأعداء وكان فيها عشرون ألفاً معظمهم من الروس، فأحرز المسلمون عليهم انتصاراً عظيماً وتمكنوا من أسر معظم قوادهم.

وكان السلطان قد أرسل من قبله وفداً إلى إمبراطور الروم وعرض عليه المصالحة ولكنه تكبر وطغى ولم يقبل العرض وقال: هيهات !! لا هدنة ولا رجوع إلا بعد أن أفعل ببلاد الإسلام مثل ما فُعل ببلاد الروم، وجاء في رواية: لا هدنة إلا ببذل الرَّي – وهي بلاد شاسعة تحت إمرة المسلمين –، فحمي السلطان وشاط، فقال إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين.

واجتمع الجيشان يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٤٦٣هـ، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وابتهل وبكى وتضرع وقال لهم: نحن مع القوم تحت الناقص وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي يدعى فيها لنا وللمسلمين على المنابر، فإما أن أبلغ الغرض وإما أن أمضي شهيداً إلى الجنة، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحباً، فما هاهنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر فإنما أنا اليوم واحد منكم، وغاز معكم، فمن تبعني، ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة أو الغنيمة ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة فقالوا: مهما فعلت تبعناك فيه وأعناك عليه، فبادر ولبس البياض وتحنط استعداداً للموت وقال: إن قتلت فهذا كفني، ثم وقع الزحف بين الطرفين ونزل السلطان ألب أرسلان عن فرسه ومرغ وجهه بالتراب وأظهر الخضوع والبكاء لله تعالى وأكثر من الدعاء ثم ركب وحمل على الأعداء، وصدق المسلمون القتال وصبروا وصابروا حتى زلزل الله الأعداء وقذف الرعب في قلوبهم، ونصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا منهم جموعاً كبيرة، كان على رأسهم ملك الروم نفسه. [دولة السلاجقة للصلابي].

الدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين في القنوت

روى البخاري و مسلم في صحيحهما عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ «وَاللَّهِ لأُقَرِّبَنَّ بِكُمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» فَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقْنُتُ فِى الظُّهْرِ وَالْعِشَاءِ الآخِرَةِ وَصَلاَةِ الصُّبْحِ وَيَدْعُو لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَلْعَنُ الْكُفَّارَ.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع فربما قال إذا قال سمع الله لمن حمده: «اللهم ربنا لك الحمد اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش ابن أبي ربيعة اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف»، يجهر بذلك وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر «اللهم العن فلانًا وفلانًا»، لأحياء من العرب حتى أنزل الله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظلمون».

عن خباب بن الأرَتّ (قال: شكونا إلى رسول الله، ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، أو تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يبعده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

فهذا خبّاب جاء إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الدعاء بالنصر، هكذا أطلق خباب، وهو يريد النصر الظاهر، برفع العذاب والأذى الذي كانت قريش تصبه على رسول الله، ﷺ وصحابته.

فنقله رسول الله، ﷺ نقلة أخرى مبينا له معنى آخر من معاني الانتصار، وهو الثبات على دين الله، وتحمل المشاق والعقبات، حتى لو ذهبت روح المسلم فداء لدينه وعقيدته.

ثم يذكر له رسول الله ﷺ النصر الظاهر وأنه متحقق، ويقسم رسول الله ﷺ على ذلك، ولكنه لا يتحقق إلا بعد الثبات والصبر.

قال الحافظ ابن حجر: وليس في الحديث تصريح بأنه ﷺ لم يدع، بل يحتمل أنه دعا، وإنما قال: «قد كان من قبلكم...» الخ تسلية لهم وإشارة إلى الصبر حتى تنقضي المدة المقدورة، وإلى ذلك الإشارة بقوله في آخر الحديث: «ولكنكم تستعجلون».

فالمذموم من الحديث هو الاستعجال قبل الأوان وليس طلب النصرة.

وفي الصحيح:عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: «يستجاب لأحدكم مالم يعجل» قيل وكيف يعجل يا رسول الله؟ قال «يقول قد دعوت الله فلم يستجب الله لي». [رواه ابن ماجه ,والترمذي وقال: حسن صحيح ,وصححه الألباني].

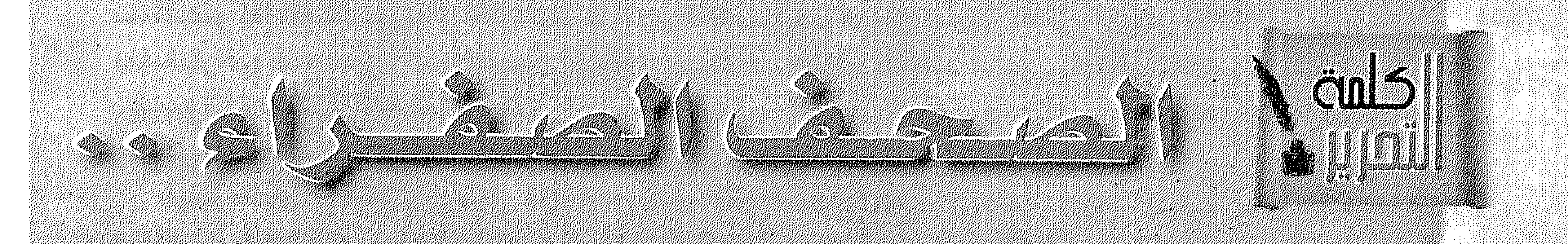
الاستنصار بالضعفاء

ويستحب أن يستنصر بالضعفاء – أي بدعائهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم، لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». [صحيح البخاري: كتاب السير والجهاد - باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب].

وروي أن رسول الله ﷺ كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ويستحب أن يدعو عند لقاء العدو.

وروى الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه، منهم البراء بن مالك» فإن البراء لقي زحفًا من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال: «إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فاقسم على ربك»، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين، فقالوا: له يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

فالدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء لأن المؤمنين يعلمون يقيناً أن النصر بيد الله عز وجل وأنه سبحانه وتعالى ناصرهم على عدوهم متى أخذوا بأسباب النصر – والله المستعان.



الحمد لله على إحسانه والشكر على توفيقه وامتنانه وبعد:

فإن المرء لا يحتاج إلى كبير عناء ليدرك أن الواقع المعاصر لأمتنا الإسلامية هو من أمر ما مر بها عبر تاريخها الطويل، فأزمتها الحاضرة ليست كسالف الأزمات ونكبتها ونكستها المعاصرة في كثير من المجالات تكاد تكون غير مسبوقة، وما ذلك إلا لخطورة التحديات، وشدة الصراعات، فقد تكالبت علينا الأمم من كل فج عميق، وها نحن نعيش الهوان ونتجرعه، وها نحن نرى بأم أعيننا أن أعداء الإسلام لا تحركهم دماء المسلمين التي تنزف ومساجدهم التي تباد وتهدم، وأطفالهم تُقتل، ونساؤهم ترمل وتشرد، وأعداء الإسلام يتضامنون للذود عن إسرائيل وحلفائهم في الداخل، يقدمون لهم كل المساعدات، وأساليب العون، فتخرج الطائرات من قواعد بلادهم لتساند اليهود بأيدي أعداء الأمة لتبيد الأخضر واليابس، وتحصد الأحياء، وتشوه الباقين منهم على قيد الحياة، ومرضى القلوب من أصحاب الصحف الصفراء ممن عَميت بصائرهم، وتحجرت قلوبهم، فتعاملوا بكل حقد تجاه كل ما هو إسلامي مستخدمين كل أساليب الخسة في تشويه رموز الأمة وعلمائها، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

الصحف الصفراء وأصحاب القلوب المريضة

منذ أن شرفنا الله - تعالى - بتولي المسئولية عن مجلة التوحيد من بداية رئاسة شيخنا الوالد صفوت نور الدين رحمه الله رحمة واسعة، ونحن ننهج منهجًا لا نحيد عنه، وهو عدم الالتفات إلى الصغائر التي تصدر من مرضى القلوب والحاقدين من الطابور الخامس، بل نغض الطرف عنهم، ونمضي في طريقنا ومنهجنا الذي ندين الله تعالى به.

وقد اعتادت عدة صحف مغرضة في الآونة الأخيرة بث السموم من خلال نشر الأكاذيب والادعاءات عن جماعة أنصار السنة المحمدية ومجلة التوحيد لسان حال الجماعة، والتي أصبحت بفضل الله - تعالى - من أكبر وأوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم، وكأن ذلك قد أدمى قلوب المرضى والموتورين، فراحوا يبحثون عن أساليب ووسائل للهدم والتشويه، فسلكوا كل السبل للتنفيس عن أحقادهم، وبث سمومهم، فقد هالهم أن الجماعة ومجلتها وكيانها ومنابرها قد أصبحت منارات للعلم والهدي والمنهج السديد، وقد تناسوا أنهم ينتمون إلى أمة الإسلام، متناسين أمانة الكلمة، هم ومن عاونهم، غافلين عن أن هناك عليم جبار، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وأن العمل الصالح ليس بالمال ولا بالقوة ولا بالجاه، يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: «وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ

وقانون تجريم الفتوى

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

في الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ» [سبأ: ٣٧]، فالصدق خلق كريم لا يتحلى به إلا الفضلاء، قال تعالى: «وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ» [الأحقاف: ١٩]، فقد وعد الله الصادقين بالثواب العظيم، والجزاء الكبير في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يرزق الله صاحب الصدق حُسن الخُلق، وحُسن الأحدوثة، ومحبة الله ومحبة الخلق، ويؤمن جانبه، ويحسن إلى غيره، ويعافى من الشرور والمهالك، ويطمئن لسانه وقلبه، ويشرح الله صدره، فلا يمزقه القلق والخوف، ففي الحديث عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة». [رواه الترمذي، وأحمد].

أمانة الكلمة... والكلمة الأمينة

إن مَن تدرع بدروع التقوى وسلك مسالك الهدي جد في فعل المأمورات، وترك المنهيات، وتحبب لربه بفعل المستحبات، حينئذ يقربه ربه إليه، ويسلك به مسالك أحبابه، إذا سأله أعطاه، وإذا دعاه لباه، وإذا استنصره نصره، وإن اعتذر إليه عذره، هؤلاء هم الهداة المهتدون والصالحون المتقون: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ» [ق: ٣٧].

إن الكلمة مسئولية، تبني أو تهدم، ومن قلّ صدقه كثر خطؤه، وأهل الكلام وحملة الأقلام ورجال الإعلام هم الذين يسنون سننًا حسنة، أو سننًا سيئة، وهم شركاء في الأجر حين الإحسان، ويحملون الأوزار حين الإساءة إلى يوم القيامة.

وإنه لمن المؤسف والعصر عصر إعلام، والدولة لأهل الكلام والأقلام، أن كثيرًا من أنصاف الكتاب والمحاورين وممن يحاولون أن ينسبوا أنفسهم إلى شرف المهنة يطلقون الكلمات والكذب والإفتراءات لا يراعون فيها ربهم، محاولين الترويج لصحفهم الباهتة التي تهدف إلى التشويه والإثارة.

وإذا كانوا يريدون منا أن ننزلق إلى أساليبهم ووسائلهم الرخيصة، فإننا لن ننساق وراء ما يريدون، ولا إلى ما يهدفون.

وعجبًا لمن ينتسب لأهل الحق والإيمان كيف يركب مركب الغيبة وقد علم أن المبتلي بها ذو قلب متقلب وفؤاد مظلم، انطوى على بغض الخَلق وكراهية الخير، لا يعنيه نفع نفسه بقدر ما يعنيه ضرر غيره هذا المبتلي أزعجه أن يرى صروحًا للدعوة قد شُيدت، ونجاحات بفضل الله قد تحققت، قلبٌ مريض يحسد في السراء، ويشمت في الضراء، على الهم مقيم، وللحقد ملازم، تسوؤه المسرة، وتسره المساءة.

وهل هذا هو حال المسلم بهذه الصورة، وكأنه يأمن الخذلان والنقمة من الله، ولا تخطر له أخوة الإيمان ببال، قال تعالى: «وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» [الحجرات: ١٢].

العقاب لمن يتصدى للفتوى بدون رخصة.. وشيخ الأزهر يرفض قانون تجريم الفتوى

فقد وافق الأزهر الشريف على مشروع قانون يسمح بتجريم الإفتاء بدون ترخيص، كما وافقت لجنة

الاقتراحات والشكاوى بمجلس الشعب على مشروع قانون تقدم به أحد النواب بمجلس الشعب ينص على عقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة، ولا تتجاوز ثلاث سنوات لكل من أفتى في أمور دينية عبر أي وسيلة من وسائل الإعلام سواء كانت مسموعة أو مرئية أو مقروءة دون أن يكون له صفة رسمية، وكان النائب الذي تقدم بالمشروع قد أكد لبعض وسائل الإعلام أن المشروع لا يمنع أحداً من الفتوى، ولكن أي مسلم يظن في نفسه موهبة أو علماً بالإفتاء يتقدم لِلجنة تعطي إجازة للفتوى، وهذه اللجنة مشكلة من ثلاث أعضاء يمثلون دار الإفتاء، والأزهر، والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالإضافة إلى رئيس محكمة النقض في أحكام الإعدام، مؤكداً إلى أنه من غير المعقول أن يكون المفتي له الحق في رفض قرار محكمة النقض في أحكام الإعدام، ويتحول موضوع الإفتاء إلى فوضى... حسب كلام مقدم المشروع.

وكان الإمام الأكبر شيخ الأزهر قد أفتى في الأيام القليلة الماضية أثناء زيارته لمحافظة الدقهلية «أن كل من عنده كلمة حق، وكل من هو قادر على الإفتاء من حقه أن يفتي».

وقال فضيلته: «نحن لا نستطيع أن نكمم الأفواه، ومن يتصدى للفتوى أو تصدر عنه فتوى صحيحة يجب علينا أن نشكره، لا أن نسجنه، والذي يقدم فتوى غير صحيحة يجب علينا أن نقدم له النصيحة». مشيراً إلى أنه لا يستطيع أن يمنع أحداً من إصدار الفتوى أو إبداء الرأي. وقال: «إن كل ما أملكه هو أن أنصح، لكن دون أن أتصدى للفتوى وصاحبها».

ومن جانبه دعا وزير الأوقاف الدكتور حمدي زقزوق إلى التصدي لفتوى الفضائيات، مؤكداً أن كل من هب ودب يفتي بالفضائيات وأصبح يدعي العلم ويفتي، ولابد من وضع حد لهم ؛ لأنهم دائماً ما ينجرفون إلى قضايا فرعية لا تخدم إلا أعداء الدين. اهـ.

وإذا كنا لا نؤيد الفوضى في إطلاق الفتاوى، لكن هل يجوز تجريم شخص وسجنه لمجرد أنه أفتى في مسألة ما في الطهارة أو الوضوء ؟!

وهل يأثم من كان عنده علم في أحد العلوم أو في العلوم كلها أو بعضها ويمنع هذا العلم عن الناس لمجرد أنه ليس مرخصاً له بالإفتاء ؟!

وإننا نتساءل أيضاً: من الذي أثار البلبلة في الفتوى غير العلماء المتخصصين ؟ ومن صاحب الفتوى المثيرة عن بول النبي صلى الله عليه وسلم، وفتوى إرضاع الكبير، وفتوى الختان وتحريمه، وجواز أخذ الفائدة على الأموال المودعة بالبنوك، وعمل المرأة قاضية، وغيرها كثير، أليسو من أساتذة الأزهر ؟!

أول ميثاق للفتوى في التاريخ الإسلامي بمكة

وإذا كنا نتحدث عن الفتوى في مصر وما يُعد من قرارات بهدف القضاء على فوضى الفضائيات – كما يقولون – فقد ذكر في مكة المكرمة أول ميثاق في التاريخ الإسلامي للفتوى، يتكون من ثلاثة أبواب رئيسية، تتضمن إحدى وأربعين مادة تتناول مبادئ وأساسيات الفتوى ومجالاتها، وذلك في ختام المؤتمر العالمي للفتوى، بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، بحضور أكثر من مائة وسبعين عالمًا وفقيهًا.

وقد تناول المؤتمر الحالات التي يحرم على المفتي الفتوى فيها إذا كان لا يعلم حكم المسألة أصلاً ولا يستطيع استنباط حكمها وفقًا للأصول الشرعية، ونصت المادة الثالثة على بعض النقاط حول ضوابط الفتوى، فلا يجوز تكفير مسلم إلا بإتيانه ناقضاً من نواقض الإسلام، والحذر من الفتوى الضالة والمضلة التي تدعو الناس إلى سفك الدماء المعصومة بغير حق، والتأكيد على أن حفظها من

أعظم مقاصد الشريعة الغراء، وتحرير عبارة الفتوى تحريرًا رصينًا واضحًا، بعيدًا عن الإيجاز المخل، أو الإطناب الممل، مع ذكر الشروط والقيود التي تتعلق بالحكم لئلا تفهم الفتوى على وجه غير صحيح، وحتى لا يستغلها الذين يبغون إثارة الفتن بين المسلمين.

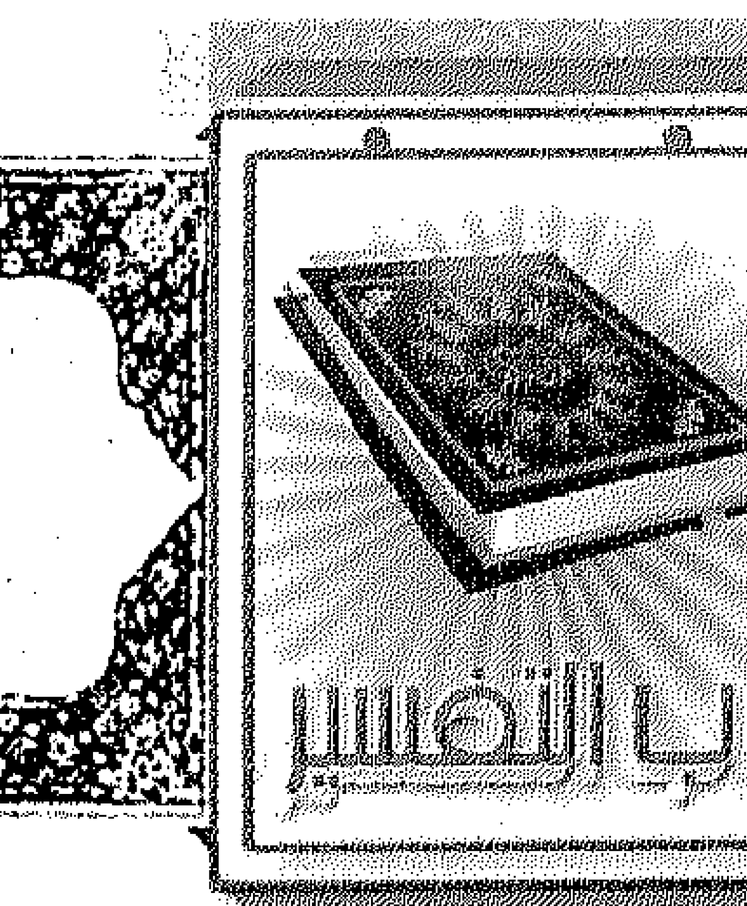
كما بين الميثاق الحالات التي لا يجوز للمفتي الإمتناع فيها عن الإفتاء، وهي إذا خشي لحوق ضرر به، وإذا قام غيره مقامه، وإذا كانت الفتوى مما لا نفع فيها للسائل، وإذا كانت المسألة المسئول عنها غير واقعة، ووضع الميثاق عبر الفتوى العاشرة أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المفتي:

أن يكون صحيح التمييز، قوي الفطنة، يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أُشكل، وفصل ما أعضل، وأن يتصف بالأناة والتثبت والحلم والمهابة والوقار، بالإضافة إلى أن تكون له معرفة بأحوال المستفتين، بالواقع الذي يعيشون فيه، إما بنفسه أو بمن يستعين بهم من أهل الخبرة، وأن يكون له خبرة في تنفيذ الأحكام على الواقع، وذلك بالتلمذة على من صقلتهم التجربة والإطلاع على فتاواهم والتأمل في مأخذها، وكيفية تنزيل الأحكام على الواقع !!

العلاقات التركية الإسرائيلية بين شهامة أردوغان واعتبارات الدولة

وفي نقلة سريعة فيما بقي من سطور إلى حدث وقع ولفت انتباه وأنظار العالم الإسلامي، ولقي تأييدًا وارتياحاً من العالم الإسلامي، وخاصة الشعوب وما جعل البعض في عالمنا العربي ينظر إلى ما حدث في «دافوس» بعد انسحاب رئيس الوزراء التركي من المؤتمر احتجاجًا على عدم إعطائه الوقت الكافي مثلما أعطي رئيس الدولة الصهيونية للرد على كذبه وافتراءاته سوف يتسبب في إنهاء العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين، وربما قيام تركيا بشن حرب ضد إسرائيل بالوكالة نيابة عن العرب، ولم يدرك الكثيرون أن العلاقة بين الطرفين هي علاقة أدبية، بدأت منذ عام ١٩٤٩م بعد أن كانت تركيا هي ثاني دولة تعترف بإسرائيل، وتطورت العلاقات الثنائية بينهم في الخمسينات، وارتبط الطرفان بمعاهدات أمنية وعسكرية، شكلت ملامح علاقات أزلية بين تل أبيب وأنقرة، استمرت في النمو إلى عام ١٩٨٣، وبالرغم من أن العلاقات الثنائية بين الطرفين قد شهدت فتورًا أثناء حكم حزب الرفاة بزعامة نجم الدين أربكان، إلا أن هذه الفترة أيضًا شهدت توقيع على اتفاقية التعاون في مجال التدريب العسكري بين تركيا وإسرائيل عام ١٩٩٦م، وهذه الاتفاقية مكنت الكيان الصهيوني من فتح سماء تركيا أمام الطائرات العسكرية الإسرائيلية بعد توقيع عدة عقود قامت إسرائيل بمقتضاها بتحديث عدد من الطائرات التركية وإمداد أنقرة بأنظمة صاروخية إسرائيلية متطورة، إلى أن جاء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم، ويردد البعض أن المؤسسة العسكرية التركية المخولة للإشراف على التعاون العسكري مع إسرائيل حرص على التأكيد أمام حكومة أردوغان على أن التعاون مع إسرائيل خط أحمر لا يجوز الاقتراب منه، ويبدو أن أردوغان قد استوعب الدرس العسكري ولم يحاول المساس بالمعاهدات العسكرية مع إسرائيل، بل سعى جاهداً إلى تعزيز التعاون الاقتصادي بين البلدين في عدد من المجالات الاقتصادية المهمة مثل الماء والطاقة، فعلى سبيل المثال وقع البلدان في عام ٢٠٠٤م اتفاقية للمياه تلزم إسرائيل بشراء خمسين مليون متر مكعب من المياه سنويًا من تركيا خلال السنوات العشرين القادمة، كما وقعت الشركات التركية عقوداً تركية بقيمة ٨٠٠ مليون دولارًا سنويًا لبناء وإدارة معامل للطاقة في إسرائيل، فهل يُعقل أن يؤدي سلوك أردوغان في «دافوس» إلى الإطاحة بهذا الكم الهائل من التعاون الاقتصادي والعسكري بين الطرفين.

فاللهم أصلح قلوبنا، وأنر بصائرنا، واشف صدورنا، واجمع الأمة على الحق، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



تفسير سورتي التكاثر والعصر

إعداد: د/ عبدالعظيم بدوي

يقول تعالى: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» [سورة التكاثر].

بين يدي السورة

قوله: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» شغلكم عن ذكر الله، وألهاكم عن طاعته، «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» يعني: أنكم تشاغلتم بالتكاثر عن ذكر الله، فلم تفيقوا من غفلتكم، ولم تنتبهوا من رقدتكم، حتى نزل الموت بساحتكم، فلم يرعكم إلا ظلمةُ القبر تلفكم، والملائكة تسائلكم: مَن ربك ؟ وما دينك ؟ وما تقولُ في الرجل الذي بُعث فيكم ؟

ولم تذكر الآية شيئًا مما كانوا يتكاثرون فيه، وقد قال تعالى في آية الحديد: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ» [الحديد: ٢٠]، فخصّ بالذكر الأموال والأولاد، وهما مما يتكاثر الناس فيه، لا كل ما يتكاثرون فيه، ولكنه هنا عمّ، ليشمل كلّ ما يتكاثرون فيه: من المال والولد، والثياب، والأثاث، والعمارات، والسيارات، والعقارات، حتى الكتب عند طلبة العلم، ولقد ألهَى التكاثر الناس اليوم أكثر من ذي قبل، حتى صدق فيهم قول النبي ﷺ : «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم». [متفق عليه].

نسأل الله السلامة والعافية.

ثم توعد الله هؤلاء الذين ألهاهم التكاثر فقال: «كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، و«كلا» كلمة ردع وزجر، والمعنى: سوف تعلمون العاقبة الوخيمة لانشغالكم بالتكاثر عن ذكر الله وهي الخسران، سوف تعلمون أنكم خسرتم خسرانًا مبينًا، ولذا حذر الله المؤمنين من تشاغلهم بالتكاثر، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [المنافقون: ٩].

وقوله تعالى: «كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» جوابه محذوف، وليس ما بعده جوابًا له، وتقدير الكلام: لو تعلمون علْمَ اليقين أنكم إلى الله راجعون، وبأعمالكم مجزيون، ما ألهاكم التكاثر، ولكن ظننتم أنكم لا ترجعون، «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [فصلت: ٢٣].

وقوله تعالى: «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ» تفسيرٌ للوعيد المتقدم في قوله تعالى: «كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ»، توعدهم برؤية النار التي «إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا» [الفرقان: ١٢]، قال تعالى: «وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا» [الكهف]، وقال تعالى: «وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا» [الكهف: ٥٣].

وقوله تعالى: «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» يعني: لتسألن عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والمال والولد، والأمن والرخاء، وهدوء البال، وطيب القلب، ونحو ذلك من النعيم، حتى إن رسول الله ﷺ عدّ الماء البارد من النعيم، فقال: «إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم أنْ يقال له: ألم نُصحّ لك جسمك، ونرويك من الماء البارد». (أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، وصححه الألباني).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجَ رسول الله ﷺ ذات يومٍ أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟» قالا:

الجوعُ يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخْرَجكما، قوما». فقاما معه. فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبًا، وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «أين فلان ؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحدُ اليوم أكرم أضيافًا مني، قال: فانطلق فجاءهم بعذقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورطبٌ، فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب». فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما شبعوا ورووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يومَ القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لَمْ ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم». (رواه مسلم: ١٣٠٦).

سورة العصر

قال تعالى: «وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» [سورة العصر].

بين يدي السورة

سورة مكيةٌ، تضمنت وعيدًا شديدًا، وذلك أنها استُفْتحت بالقسم من الله تعالى على أن الإنسان في خسران، ولا ينجو من هذا الخسران إلا من توفّرت فيه أربعُ صفات، هي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فمن توفرت فيه هذه الصفات فقد بلغ غاية الكمال ؛ لأن غاية الكمال هي أن يكمل الإنسان نفسه، ثم يسعى في تكميل غيره، وتكميل نفسه يكون بإصلاح قُوتيه العلمية والعملية، وإصلاح القوة العلمية يكون بالإيمان، وصلاح القوة العملية يكون بالعمل الصالح، فمن فعل ذلك فقد كَمَّلَ نفسه، فعليه أن يسعى في تكميل غيره، حتى يبلغ نهاية الكمال، فيأمر الناس بالإيمان والعمل الصالح، والصبر على ذلك، ويصبر هو عليه، وعلى ما يلقاه من الأذى، بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد تضمنت السورة هذا كله مع قصرها وقلة آياتها، فهي على ذلك أعظم سورة في القرآن، ولذا كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: لو ما أنزل الله على الناس غير هذه السورة لكفتهم، ولكنّ الناس في غفلة عن التفكير في هذه السورة.

تفسير الآيات

قوله تعالى: «وَالْعَصْرِ»: المراد بالعصر الزمنُ، الذي هو زمنُ ربح المؤمن وخسارة الكافر، فالمؤمن يتاجر في العصر تجارةً رابحةً مع الله، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ» [فاطر: ٢٩، ٣٠]، والكافر غافل عن ذلك، منغمسٌ في شهواته وملذاته لا يفيقُ إلا في ساحة الموت، فهنالك يعرفُ قيمة الوقت، فينادي: «رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وهيهات هيهات، «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» [فاطر: ٣٧].

قال تعالى: «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [المؤمنون: ١١٢- ١١٤]. يعني: لما آثرتم الفاني على الباقي، ولما تصرّفتم لأنفسكم هذا التصرف السيئ، ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة، فلو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا.

ومن المعلوم أن من نزل السوق ساعةً واحدة، ثم خرج منها بألف دينار مربحًا، يغبطه الناس كلُّهم، سبحان الله! رَبِحَ في ساعةٍ واحدةٍ ألف دينار!! ومن نزل السوق ساعة واحدة، ثم خرج بخسارة ألف دينار، فإن الناس يتحسرون عليه ! سبحان الله! يخسر ألف دينار في ساعة ! وإذا كان هذا حال الناس في الدنيا، التي يمكن أن يخسر فيها من ربح، ويربح من خسر، فكيف بمن يربح في هذا العمر المحدود جنة عرضها السماوات والأرض، ورضوان من الله أكبر ؟! وكيف بمن يربح في هذا العمر المحدود نارًا حامية وسخط الله ؟!

فاغتنم يا عبد الله حياتك، واغتنم أوقاتك، «وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» [الأنعام: ٧٠]، واعلم أن عمركَ رأس مالك في تجارتك مع الله في هذه الدنيا، فكن على وقتك أحرص منك على مالك، وكن بوقتك أضنَّ منك بمالك،

فإن المال إذا فُقِدَ ربما رجع أو عُوضْتَ عنه خيرًا منه، أما الوقتُ إذا ضاعَ فليس منه عوضٌ، ولن يرجعَ إلى يوم القيامة.

أقسم الله تعالى بالعصر على: «إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ»، والخُسر والخُسرانُ واحدٌ كالكفر والكفران، ومعناه: إنّ الإنسان - كل إنسانٍ - في خسرانٍ مبين، «إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»، «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» [التين: ٦]، فاستثنى الله سبحانه من الخسران من اتصف بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر.

والإيمان هو أول واجب على المكلف، وليس له وسيلة سوى العلم، فالعلم هو الوسيلة الموصلة إلى الإيمان، وليس للعلم مصدرٌ سوى الكتاب والسنة.

وقد أشار إلى ذلك الإمام البخاري رحمه الله حيث سلكَ في ترتيب الصحيح مسلكًا عظيمًا، فبدأ بكتاب الوحي، ثم الإيمان، ثم العلم، وكأنه رحمه الله يقول بصنيعه هذا: إن أوّل واجبٍ على المكلّف الإيمانُ، وأنّ طريق الإيمان العلمُ، وأنّ العلم مصدرُه الوحي: القرآنُ والسنة. فواجبٌ على المكلّف أن يهتم بطلب علم الكتاب والسنة، فقد كثر الحثّ على طلبه في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

أنّ الله تعالى نفى التسوية بين العلماء وغيرهم، فقال تعالى: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ» [الزمر: ٩]، وجعل الجاهل أعمى، فقال تعالى: «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى» [الرعد: ١٩]، وبيّن أنه يرفع العلماء درجات فوق المؤمنين، فقال تعالى: «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» [المجادلة: ١١]، وأمر النبي ﷺ أن يكتفي بإيمان أهل العلم إذا كفر غيرهم، فقال تعالى: «قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، وقال تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ» [العنكبوت: ٤٩].

وقال تعالى: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ» [آل عمران: ١٨]، وقد تضمنت هذه الآية فضل العلماء من وجوه، ذكرها ابن القيم رحمه الله في كتابه «مفتاح دار السعادة»، ومما ذكره: أنّ الله تعالى استشهد العلماء، وهو سبحانه لا يستشهد إلا أهل الفضل، وأنه سبحانه قرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة، ولم يكرر الفعل، وقال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» [البقرة: ١٤٣]، فسّر النبي ﷺ هذه الآية فقال: «يُجاء بنوحٍ يوم القيامة، فيُقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم يا رب، فتُسأل أمتُه: هل بلغكم ؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير. فيقولُ: من شهودُك؟ فيقول: محمدٌ وأمته، فيجاء بكم فتشهدون». ثم قرأ رسول الله ﷺ الآية. [رواه البخاري: ٧٣٤٩، ٣١٦/١٣].

وهذا من العام المخصوص، إذ أنه لا يشهد كل فردٍ من الأمة، وإنما المراد العلماء، ولذلك ترجم الإمام البخاري لهذه الآية فقال: باب: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»، وما أَمَرَ النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم. والآيات في ذلك كثيرة.

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ في فضل العلم والترغيب فيه، وبيان شرف أهله، فهي أشهر من أن تُذكر، وأكثر من تُحصر، منها:

قوله ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». متفق عليه. وقوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها». متفق عليه. وقوله ﷺ: «الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلاَّ ذكر الله وما والاه، وعالمًا أو متعلمًا». (أخرجه ابن ماجه ٤١١٢، وحسنه الألباني).

وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم». (أخرجه الترمذي، وصححه الألباني). وقوله ﷺ: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ أخذه بحظٍ وافر». (أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وانظر صحيح الجامع: ٦٢٩٧)، وقال ﷺ: «طلبُ العلم فريضة على كل مسلم». (أخرجه ابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني).

قال العلماء: العلم قسمان: فرضُ عَينٍ، وفرضُ كفايةٍ، فأما الذي هو فرضُ عينٍ لا يسع مسلمًا جهله، فالعلمُ بأصول الدين، وأصول الواجبات والمحرمات.

وأما الذي هو فرضُ كفايةٍ فما زاد على ذلك مما دقّ من الأحكام، فيجب أن يكون في الأمة من يعلم بهذه الأحكام، ويعلمها من يحتاج إلى علمها، كما أنّ من فروض الكفاية: علم الصناعة والزراعة، والطب،

والحساب، ونحو ذلك.

فعلى المسلمين أن يهتموا بطلب العلم ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فإنّ الانشغال بطلب العلم أفضل من الانشغال بنوافل العبادة.

وعلى من تعلّم أن يعمل، فإنّ العمل هو الصفة الثانية، من الصفات المنجية من الخسران، وإنما مُدح العلم من أجل العمل، وإنما العلم شجرةٌ والعملُ ثمرةٌ، فمن تعلّم ولم يعمل فإنّ علمه إن لم يضره لم ينفعه، وضرره ثابتٌ، قال ﷺ : «يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور حولها كما يدور الحمار في الرحى، فيأتيه الناس فيقولون ما لك ؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول: بلى، كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه». (أخرجه مسلم: ٥٣٠٥).

وإنّ الإنسان ليعجب من أهل هذا الزمان، حيثُ كَثُر علمهم، وقلّ عملهم، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، أما علم هؤلاء فيما عَلِمُوا أنّ النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم». (السلسلة الصحيحة : ٩٤٦).

أما علموا فيما علموا قول النبي ﷺ : «والقرآن حجة لك أو عليك». أما قرءوا قول الله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» [الصف: ٢، ٣].

فاعملوا صالحًا يا أهل الإيمان، فإن النجاة متوقفةٌ على الإيمان والعمل الصالح، وإن وُفقتم لذلك فعليكم بالتواصي بالحق، «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [آل عمران: ١٠٤]، قال تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» [آل عمران: ١١٠]، فهذه مؤهلات التفضيل، تفضيل الأمم بعضها على بعض الإيمان بالله، العمل الصالح، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يردّ الأمم إلى أسفل سافلين، ولذا قال تعالى: «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» [المائدة: ٧٨، ٧٩].

ولقد جعل الله تعالى الدعوة إليه هي وظيفة رسوله محمد ﷺ وأتباعه، فقال تعالى: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» [يوسف: ١٠٨]، وكان ﷺ يرغب في هذه الوظيفة والاجتهاد فيها، فكان يقول: «بلّغوا عني ولو آية». «من دلّ على خيرٍ فله أجر فاعله».

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقصُ من أجورهم شيء»، «لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النعم»، «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وخوّف النبي ﷺ من السكوت على المنكر، وبيّن أن القادرين على تغييره إذا لم يغيروه هلكوا مع أهله، فقال ﷺ : «مَثَلُ القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينة، فكان بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا بمن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا فلم نؤذِ مَنْ فوقنا؟! فلو تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا».

ولقد صحح الصديق أبو بكر رضي الله عنه للناس جميعًا هذا المفهوم الخاطئ، الذي يقول: عليك بنفسك، فقال رضي الله عنه: «أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ»، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده». فواجبٌ على من تعلم أن يعمل، ومن العمل التعليمُ والدعوةُ، فمن تعلّم وعمل وعلّم فذلك يُدْعَى في ملكوت السماوات عظيمًا.

وكلٌ من التعلم، والعمل، والتعليم، شاقٌ، يحتاجُ إلى صبر ومصابرة، ولذا كانت الصفة الرابعةُ من الصفات المنجيات من الخسران: التواصي بالصبر، فالصبر نصف الإيمان، والصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولذا كثُر في القرآن الحثّ عليه، والترغيب فيه: كما كثرت بذلك الأحاديث، وذلك لأن السفر إلى الله طويل، والطريق شاق، والعقبات كثيرةٌ، فمن لم يكن معه من الصبر الشيءُ الكثير، فإنه لا يقوى على مواصلة السير، ولا يقدر على مشقة الطريق، ولذا يرى الناظرُ كثيرًا من الناس يركبون الطريق ثم يتركونه ويرجعون عنه، والسعيدُ من ثبت وصبر، وقد شبّه العلماءُ الطريق إلى الله بجبل وعرٍ على رأسه رجلٌ يحذر الناس من الصعود، يقول: إني أرى ما لا ترون، فأين تذهبون؟ إن هاهنا أهوالاً، وأعداءً لا قِبَلَ لكم بهم، فمن صدّقه فقعد عن الصعود، فقد خاب وخسر، ومن كذبه فصعد وصابر وصبر أفْضَى إلى جنة عالية، قطوفها دانية.

نسأل الله أن يوفقنا للإيمان والعمل الصالح.

باب السنة

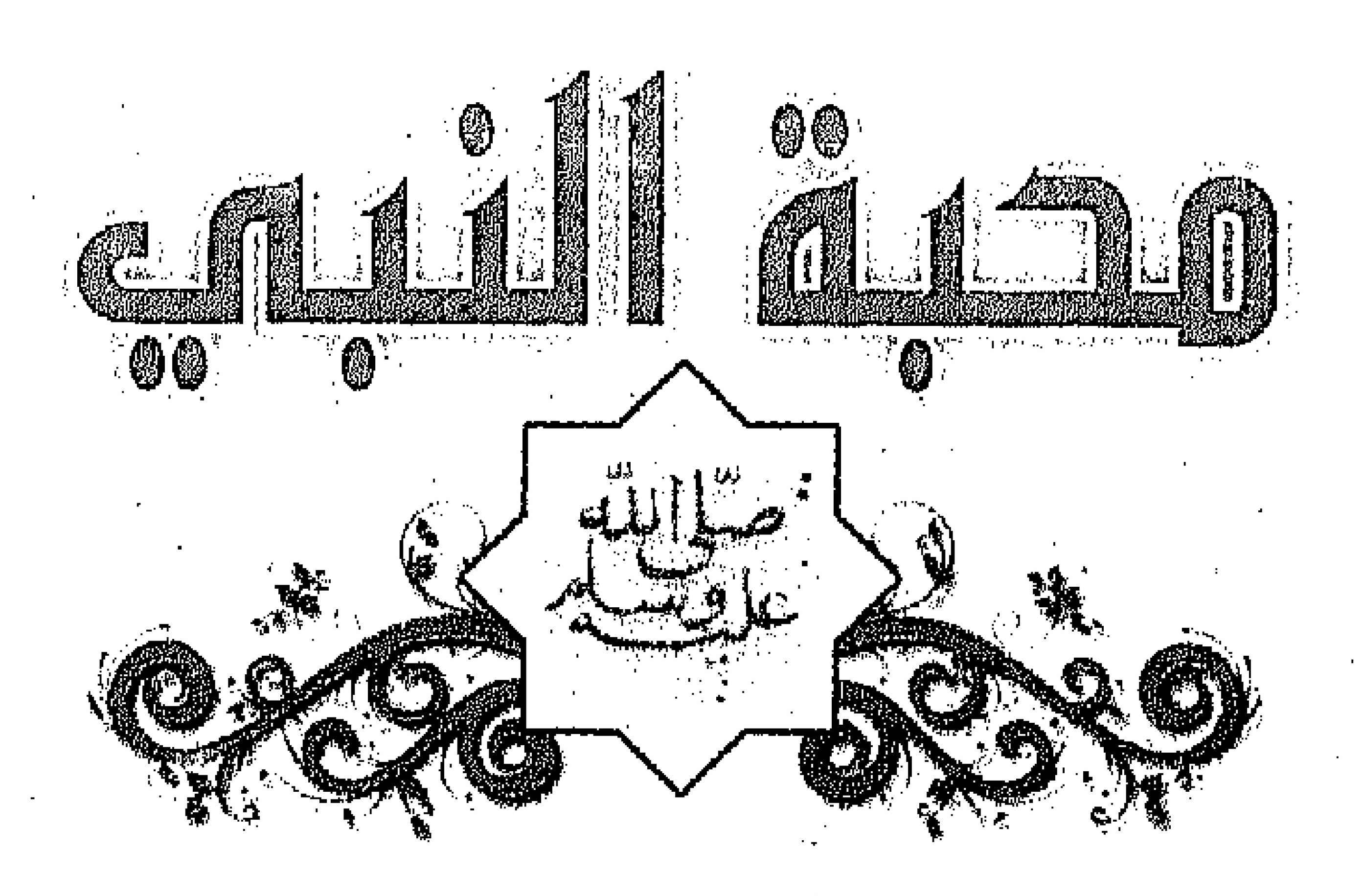
إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من أوجب الله على المسلمين محبته وتعظيمه وتوقيره، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُؤمنُ أحدُكُمْ حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من والدِهِ وولدِهِ والناسِ أجْمَعِين».

محبة النبي



هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب «حب الرسول من الإيمان» برقم (١٥) كما أخرجه من حديث أبي هريرة في نفس الباب برقم (١٤). وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان تحت باب عنوانه: «وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة» برقم (٤٤). كما أخرجه الإمام النسائي في كتاب الإيمان باب (علامة الإيمان) برقم (٥٠١٦) من حديث أنس، وبرقم (٥٠١٨) من حديث أبي هريرة، وأخرجه الإمام ابن ماجه في المقدمة باب (في الإيمان) برقم (٦٧)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند بالأرقام: (٣/ ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨) في مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

شرح الحديث

أورد الإمام البخاري هذا الحديث في باب (حب الرسول ﷺ من الإيمان) قال الحافظ في الفتح: اللام فيه - أي في الرسول - للعهد، والمراد سيدنا محمد ﷺ بقرينة قوله: «حتى أكون أحب»، وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان، لكن الأحبية مختصة برسولنا محمد ﷺ. اهـ. بتصرف.

قوله: «لا يؤمن أحدكم» في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم» يحلف النبي ﷺ وإن لم يستحلفه أحد، وذلك ليؤكد هذا الأمر المهم، فقد ثبت من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يومًا لرسول الله ﷺ: لأنت يا رسول الله أحَبُّ إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال له النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال له عمر: فإنك الآن والله أحبُّ إليَّ من نفسي يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «الآن يا عمر». فهذه الأحبية المختصة برسول الله ﷺ لابد أن تملأ على الإنسان قلبه.

وقوله: «لا يؤمن» أي: إيمانًا كاملاً.

وقوله: «أحدكم» في رواية الإسماعيلي: «لا يؤمن الرجل» وهو أشمل من «أحدكم»، وأشمل منهما رواية الأصيلي: «لا يؤمن أحدٌ» لأنه يشمل الناس جميعًا. والله أعلم.

وقوله: «حتى أكون أحبَّ» منصوب على أنه خبر

«أكون».

وقوله: «من والده وولده». قال الحافظ في الفتح: قدم الوالد للأكثرية ؛ لأن كل أحد له والد من غير عكس. وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد، وذلك لمزيد الشفقة، وجاء في رواية ابن خزيمة في صحيحه: «من أهله وماله» بدلاً من: «والده وولده»، وكذا لمسلم من طريق ابن علية، وكذا للإسماعيلي. قال الحافظ: وذكر الولد والوالد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال. بل ربما يكونان أعز من النفس، ولهذا لم يذكر النفس أيضًا في حديث أبي هريرة. وهل تدخل الأم في لفظ الوالد فيعم، أو يقال اكتفى بذكر أحدهما كما يكتفى عن أحد الضدين بالآخر، ويكون ما ذكر على سبيل التمثيل والمراد الأعزة، كأنه قال: أحب إليه من أعزته. وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص، وهو كثير، وقدم الوالد على الولد في رواية لتقدمه بالزمان والإجلال، وقدم الولد في أخرى لمزيد الشفقة، وهل تدخل النفس في عموم قوله: «والناس أجمعين» ؟ الظاهر دخوله، وقد وقع التنصيص بذكر النفس في حديث عبد الله بن هشام في قضية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم.

وقد قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: قال الإمام أبو سليمان الخطابي: لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار، لأن حب الإنسان نفسه طبع، ولا سبيل إلى قلبه، فمعناه لا تصدق في حبي حتى تُفْنِي في طاعتي نفسك، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك. هذا كلام الخطابي.

قال النووي: وقال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما - رحمة الله عليهم - المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام ؛ كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة ؛ كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان ؛ كمحبة سائر الناس. فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته. قال ابن بطال رحمه الله: ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين؛ لأن به ﷺ استُنْقذْنا من النار، وهُدينا من الضلال.

قال القاضي عياض رحمه الله: ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه، قال: وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على قدر كل منْ والد وولد ومحسن ومتفضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن. اهـ. هذا كلام القاضي عياض رحمه الله. والله أعلم.

ونسب الحافظ في الفتح للنووي قوله: فيه تلميح إلى قضية النفس الأمارة والنفس المطمئنة، فإن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحًا، ومن رجح جانب الأمارة كان حكمه بالعكس. قال الحافظ: وفي كلام القاضي عياض أن ذلك شرط في صحة الإيمان لأنه حمل المحبة على معنى التعظيم والإجلال.

وتعقبه صاحب المفهم بأن ذلك ليس مرادًا هنا، لأن اعتقاد الأعظمية ليس مستلزمًا للمحبة، إذ قد يجد الإنسان إعظام شيء مع خلوه من محبته. قال: فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل إيمانه، وإلى هذا يومئ قول عمر الذي رواه المصنف - البخاري - في «الأيمان والنذور» من حديث عبد الله بن هشام، وفي آخره: قال عمر: «فإنك الآن أحب إليَّ من نفسي. فقال: «الآن يا عمر».

قال الحافظ: فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية، فإنها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعًا. قال: ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء: أن لو خير بين فَقْد غرض من أغراضه أو فقد رؤية النبي ﷺ لو كانت ممكنة، فإن كان فَقْدُها - لو كانت ممكنة - أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا. وليس ذلك محصورًا في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته وقمع مخالفيها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الحافظ: وفي الحديث إيماء إلى فضيلة التفكر، فإن الأحبية المذكورة تعرف به ؛ وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه وإما غيرها. أما نفسه فهو أن يريد بقاءها دائمًا سالمة من الآفات، فهذا هو حقيقة المطلوب، وأما غير نفسه فإن الإنسان يحقق المحبة لمن يسدي إليه نفعًا ما من أي وجه من الوجوه حالاً أو مآلاً، فإذا تأمل النفع الحاصل له من الرسول ﷺ الذي أخرجه من الظلمات إلى النور، ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما مباشرة وإما بالسبب علم أن رسول الله ﷺ سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات، فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره ؛ لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار هذا الأمر والغفلة عنه، ولا شك أن حظ الصحابة رضوان الله عليهم من هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة. وهم بها أعلم. والله الموفق.

وقال القرطبي رحمه الله: كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون ؛ فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى ؛ كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير

منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه. وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكره، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان.

بين المحبة والغلو

المحبة المطلوبة هي أن يكون حبُّ رسول الله ﷺ مقدمًا على كل حب أحد من والد وولد وزوج، وعلى كل شيء من مال أو أي غرضٍ من أغراض الدنيا، وأما الغلو فهو مجاوزة الحد، كما نهى عنه الرسول ﷺ فيما صح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله».

نقل الحافظ في الفتح عن ابن الجوزي: لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه، لأنا لا نعلم أحدًا ادعى في نبينا ﷺ ما ادعته النصارى في عيسى عليه السلام، وإنما سبب النهي ما وقع في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما استأذن في السجود له ﷺ، فامتنع ونهاه، فكأنه خشي أن يبالغ غيره بما هو فوق ذلك، فبادر إلى النهي تأكيدًا للأمر، وقال ابن التين: معنى قوله: «لا تطروني»: لا تمدحوني كمدح النصارى، حتى غلا بعضهم في عيسى فجعله إلهًا مع الله، وبعضهم ادعى أنه هو الله، وبعضهم ادعى أنه ابن الله. ثم أردف النهي بقوله: «أنا عبد الله».

فالإطراء المنهي عنه هو عبارة عن المدح الزائد عن حده في شخص الرسول ﷺ، كمن مدحه بأن علم اللوح والقلم من علمه ﷺ، والمقصود باللوح اللوح المحفوظ، والقلم الذي أمره الله عز وجل أول ما خلقه أن يكتب كل شيء، فيجعل بعضهم علم الله عز وجل من علم رسوله محمد ﷺ، أو يدعي أن رسول الله ﷺ يملك للناس نفعًا أو ضرًا، والله عز وجل يقول له: «قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ١٨٨]. فهذا قول الله عز وجل في كتابه صريحًا، ولو كان من قول الرسول ﷺ لقيل إنه على سبيل التواضع، ولو كان ﷺ يعلم من الغيب ما لم يطلعه الله تعالى عليه لانتقض قول الله تعالى: «قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ» [النمل: ٦٥]، وقوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» [الجن: ٢٦، ٢٧]. فعلم الغيب خاص بالله عز وجل، ومالك النفع والضر هو الله عز وجل، فلا يُعطي أحدٌ من خلق الله بعض ما لله تبارك وتعالى، فإن المخلوق لا يستوي مع الخالق، فالله تعالى مالك الملك، ومدبر الأمر، بيده ملكوت كل شيء والخلق جميعًا، بما فيهم الأنبياء والمرسلون، وعلى رأسهم أولو العزم، وعلى رأس أولي العزم رسولنا ﷺ، الجميع في قبضة الله وتحت قهره وسلطانه، وتأمل قول الله تعالى في حقه ﷺ: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» [الحاقة: ٤٤-٤٦].

فرسولنا ﷺ لا شك أنه خير الخلق، وسيد ولد آدم يوم القيامة، وهو الشافع المشفع، ولم ينتفع الخلق بأحد ما انتفعوا به صلوات الله وسلامه عليه في الدنيا والآخرة، ولكن ليس معنى ذلك أن يعبد من دون الله تعالى فيتوجه إليه بالدعاء ويستغاث به، وتشكى إليه الهموم، ويطلب منه كشف الغموم، لأنه ﷺ علَّمَ ابن عمه؛ ابن عباس رضي الله عنهما وعلَّم الأمة كلها بقوله صلوات الله وسلامه عليه: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك...» الحديث. فعلمنا ﷺ التوكل على الله سبحانه لا عليه هو والاستعانة بالله تعالى لا به، ودعاء الله تعالى في سؤاله وليس دعاءه ولا سؤاله هو، وأخبرنا الله عز وجل أن أحدًا من خلقه بما فيهم سيدهم ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله تعالى، وأن الشافع لا يشفع إلا لمن ارتضى الله تعالى الشفاعة فيه، قال تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ». وقال تعالى: «ولا يشفعون إلا لمن ارتضى».

الاتباع ثمرة المحبة

قال تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله ..»

[آل عمران: ٣١].

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله وأفعاله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» . وليس الاتباع كما يظن كثير من الناس أنه مجرد اتباع في أمر مستحب أو واجب، بل هو أشمل من ذلك وأعم كما عرفه أهل العلم، فالاتباع هو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك، فالاتباع هو ثمرة المحبة ودليلها. جعلنا الله وإياكم من المتبعين للنبي ﷺ .

فاللهم احشرنا في زمرة نبيك محمد ﷺ، وارزقنا شفاعته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



أخي: على المعاش

إعداد: د/ حسن إبراهيم حجاب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فيقول رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة». رواه البخاري.

قال العلماء - عليهم رحمة الله -: معنى الحديث أن الله تعالى لم يترك عذرًا لمن بلغ ستين سنة هجرية حيث أمهله هذه المدة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين، وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين، وعمر وهو ابن ثلاث وستين». رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين. رواه البخاري.

ويقول رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك». رواه الترمذي وغيره، وحسنه الألباني.

ومن رحمة الله بعباده أن أغلب المحالين إلى المعاش (التقاعد) عند بلوغهم سن الستين سنة ميلادية، أي ما يعادل اثنتين وستين سنة هجرية: يُعطَوْن بذلك فرصة للتفرغ للعبادة في المدة القليلة الباقية لهم في الحياة بعد طول غفلة وتقصير، وذلك تهيئة لخاتمة الخير والسعادة إن شاء الله.

يقول العلماء - عليهم رحمة الله -: إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة؟

والمحزن حقًا أن الكثيرين من المحالين إلى المعاش يجتهدون في البحث عن عمل جديد يقضون فيه بقية العمر طلبًا لمزيد من الكسب ورغبة في زيادة الدخل لمواجهة نفقات الحياة، ولو أنهم تركوا فرص العمل القليلة المتاحة ليستفيد منها الشباب العاطل لكان ذلك مساهمة في حل مشكلة البطالة التي تضرب معظم البلاد، ولا أستطيع أن أزعم أن العمل في حق هؤلاء المسنين منهي عنه لعموم قوله تعالى: « فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ » [الملك: ١٥].

ولكن الذين شبعوا من السعي وراء الرزق وقصروا كثيرًا في حق الله مطالبون بتعويض ما فاتهم والإكثار من الطاعات عسى الله أن يبدل سيئاتهم حسنات.

والمؤسف حقًا أن الكثيرين أيضًا من المحالين إلى المعاش لا يجدون عملاً بعد تقاعدهم ومع ذلك فهم لا يستفيدون من وقت الفراغ بطريقة ترفع درجاتهم عند الله - بل ربما يضيعون أوقاتهم فيما يضرهم ولا ينفعهم على النحو التالي:

أولاً: كثيرون منهم يضيعون أوقاتهم في الزيارات التي قد تكون مختلطة ويصاحبها غالبًا اللغو ومشاهدة «التلفاز» أو لعب الشطرنج أو النرد أو غير ذلك مما لا ينفع، في حين أن ملك الموت يوشك أن يقبض أرواحهم وهم غير مستعدين.

ثانيًا: كثيرون من كبار السن يضيعون أوقاتهم في قراءة الجرائد والمجلات التي لا تنفعهم كثيرًا، وأحيانًا يجلسون في شرفة المنزل دون مراعاة لغض البصر، وربما بسبب الفراغ يشاغبون الزوجة والأولاد.

ثالثًا: بعض كبار السن يضيعون أوقاتهم في النوادي التي يكثر فيها الاختلاط وأحيانًا العري، بينما الرسول الكريم ﷺ يقول: «وليسعك بيتك». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

رابعًا: كثيرون من رواد المسجد من المسنين يتقابلون بعد كل صلاة للجلوس والكلام الذي يغلب عليه اللغو، والإنسان لم يُخلق للكلام، ولكن للعبادة ؛ لقوله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات: ٥٦].

والمساجد لم تجعل للكلام، ولكن للعبادة لقوله تعالى: « فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » [النور: ٣٦].

ولقوله ﷺ عن المساجد: «إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن». (رواه مسلم).

والكلام في المساجد فيه محاذير كثيرة منها:

أ- التشويش على المصلين المتنفلين والمسبوقين والذين يصلون في جماعة ثانية.

ب- الغفلة عن ملاحظة الأخطاء الكثيرة لرواد المسجد (بما فيهم المسنون أنفسهم)، في حين يجب عليهم تعليم الجاهل وتنبيه الغافل.

ويقع بعض كبار السن في بعض المحظورات ويتركون بعض المأمورات، ومن ذلك:

١- استمرار الكثيرين منهم في التدخين مع أنه صدورت الفتاوى الكثيرة بتحريمه ؛ لقوله تعالى: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ » [الأعراف: ١٥٧].

٢- الاستمرار في عادة حلق اللحية، زعمًا منهم بأن إعفاء اللحية سنة، في حين أنه واجب، حيث يحرم حلقها وتقصيرها وأخذ شيء منها، وحتى لو كان إعفاء اللحية سنة فلماذا يزهدون في السنة في آخر العمر ؟ هل يلقون الله هاجرين لسنة الحبيب المصطفى ﷺ، مع أنه ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».
(رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

٣- الإسبال، مع تحذير النبي ﷺ بقوله: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار». رواه البخاري.

٤- التختم بالذهب أو لبس خاتم الزواج من الفضة، فالذهب محرم على الرجال، وخاتم الزواج بدعة ولو كان من الفضة، والرسول ﷺ يقول: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».
رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

٥- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إما تكاسلاً وإما غفلة بسبب الانشغال بالسمر، والله تعالى يقول: « أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ » [لقمان: ١٧].

٦- الزهد في الحسنات وعدم المبالاة بالسيئات، والرسول ﷺ يقول: «لا تحقرن من المعروف شيئًا». رواه مسلم.

ويقول أيضًا: «اتقوا النار ولو بشق تمرة». متفق عليه. ويقول ﷺ: «إياكم ومحقرات الذنوب». رواه أحمد والطبراني والبيهقي وغيرهم وصححه الألباني.

وبعد موت النبي ﷺ كان أنس رضي الله عنه يقول للصحابة والتابعين: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات». رواه البخاري.

وقد مر رسول الله ﷺ على قبر دفن حديثًا فقال: «من صاحب هذا القبر ؟» فقالوا: فلان. فقال: «ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم».
(رواه الطبراني وغيره وصححه الألباني).

٧- عدم إتقان قراءة القرآن الكريم، والجهل بالكثير من أمور الدين مما يجب أن يكون معلومًا من الدين بالضرورة.

٨- ترك بعض النساء للحجاب والتستر، هذا علاوة على التعطر والتزين بالمساحيق والأصباغ عند الخروج من البيت أو في حضرة الرجال الأجانب.

٩- التقصير في صلة الرحم.

١٠- طول الأمل، والغفلة الشديدة، والشاعر يقول:

الناس في غفلاتهم
ورحى المنية تطحن

وختامًا: أنصح إخواني الذين جاوزوا الستين سنة هجرية أو قاربوها، بل وأنصح كل مسلم ومسلمة بالمسارعة إلى الخيرات وترك المنكرات، طمعًا في حسن الخاتمة ورغبة في الفوز بالجنة والنجاة من النار، كما أناشد الجميع بالإكثار من الخلوة مع الله وترطيب اللسان على الدوام بذكر الله ؛ لقوله ﷺ: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله».
رواه الترمذي وصححه الألباني.

ولقوله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».
(رواه مسلم).

كما أنصح الجميع بالجد في تعلم وتعليم أمور دينهم، فالله تعالى يقول: « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » [الزمر: ٩].

ويقول ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».
(رواه البخاري).

يا أخي المسلم: لا بد من تغيير المسار والاستعداد ليوم الرحيل، وذلك على النحو التالي:

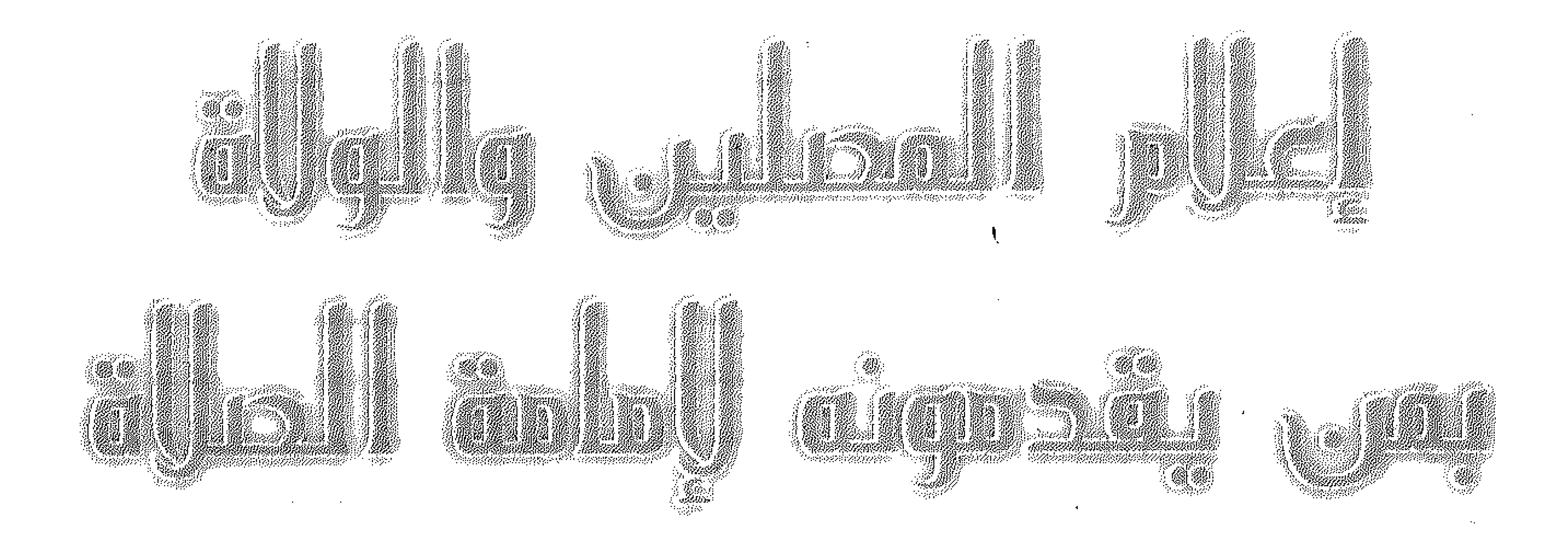
أولاً: لا بد من كتابة وصيتك الآن ؛ لقوله ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له ما يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده». رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

والله تعالى قد تصدق عليك بثلث مالك تتركه لغير الورثة، سواء للأيتام، أو للنفقة على طلاب العلم الشرعي، أو لتزويج اليتيمات، أو وقفًا للمسجد، أو غير ذلك، قبل أن ينقطع عملك، يقول ﷺ: «إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم زيادة في أعمالكم».
(رواه البيهقي وابن ماجه وغيرهما وحسنه الألباني).

ثانيًا: يوشك عملك الصالح أن ينقطع ؛ لقوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». (رواه مسلم).

فماذا أعددت لنفسك بعد موتك ؟ هل أعددت صدقة جارية ؟ أم لديك علم ينتفع به بعد موتك ؟ أم أعددت ولدًا صالحًا يدعو لك ؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



إعلام المصلين والولاة بمن يقدمونه لإمامة الصلاة

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فالحديث موصول - بعون الله تعالى - عن إعلام المصلين بمن يقدمونه لإمامة الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثانيا: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة

يجب على المسلم أن يقرأ الفاتحة في كل ركعة ولا يقتصر على قراءتها في ركعة واحدة، وذلك للآتي:

١- أن الرسول ﷺ قال للمسيء في صلاته: «ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

٢- أن الرسول ﷺ داوم على قراءتها في كل ركعة، وقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي». [أخرجه البخاري].

ثالثا: قراءة المأموم خلف الإمام

اتفق العلماء على أن المأموم إذا أدرك الإمام راكعًا فإنه يحمل عنه القراءة، وذلك لحديث أبي بكرة الثابت في صحيح البخاري حينما أدرك النبي ﷺ وهو راكع فأسرع وركع قبل أن يصل إلى الصف، ثم دخل في الصف راكعًا، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة سأل: من الفاعل؟ فقال أبو بكرة: أنا. فقال: «زادك الله حرصًا، ولا تعد». فلم يأمره ﷺ بقضاء الركعة التي أدرك ركوعها، فدل ذلك على سقوط قراءة الفاتحة عنه. أما إذا أدرك الإمام قائمًا فهل يقرأ خلفه أم تكفيه قراءة الإمام، اختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: ذهب الشافعي وأحمد إلى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام سواء كانت الصلاة سرية أم جهرية.

القول الثاني: ذهب مالك إلى أن الصلاة إذا كانت سرية قرأ خلف الإمام، ولا يقرأ في الجهرية.

القول الثالث: ذهب أبو حنيفة إلى أنه لا يقرأ خلف الإمام لا في السرية ولا في الجهرية.

الأدلة

أدلة القول الأول:

أ- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». [متفق عليه].

ب- عن عبادة رضي الله عنه قال: كنا خلف النبي ﷺ فقرأ، فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: «لعلكم تقرؤون خلف إمامكم». قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها». [أخرجه أبو داود وضعفه الألباني].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج، فهي خداج غير تمام»، قال الراوي: فقلت: يا أبا هريرة: إني أكون أحيانًا وراء الإمام. قال: فغمزني في ذراعي، وقال: أقرأ بها في نفسك يا فارسي. رواه مسلم.

جـ- لأنها ركن من أركان الصلاة فلم تسقط عن المأموم كسائر الأركان.

د- لأن من لزمه القيام لزمته القراءة إذا قدر عليها كالمنفرد.

أدلة القول الثاني:

استدلوا على قراءة الفاتحة في الصلاة السرية بحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، واستدلوا على عدم القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهرية بالآتي:

أ- قوله تعالى: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأعراف: ٢٠٤].

ب- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: «هل قرأ معي أحد منكم آنفًا». فقال رجل: نعم يا رسول الله، قال: إني أقول ما لي أُنازع القرآن ؟ قال: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله ﷺ فيما جهر فيه رسول الله ﷺ من الصلوات بالقراءة، حين سمعوا

ذلك من رسول الله ﷺ. [أخرجه أبو داود وصححه الألباني].

د- أن القراءة إذا كان الإنسان يستمع لها قراءة حكمًا، وذلك بدليل أنه يسن للمستمع المنصت إذا سجد القارئ أن يسجد معه، وهذا دليل على أنه كالتالي حكمًا، فالمنصت المتابع للقارئ له حكمه؛ لقوله تعالى لموسى عليه السلام: «قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا» [يونس: ٨٩]، والداعي موسى وحده لقوله: «وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ»

[يونس: ٨٨].

فالداعي موسى، وهارون كان يؤمن، وجعلهما الله عز وجل داعيين، إذًا فالمنصت للقراءة قارئ حكمًا.

د- أنه لا فائدة من الجهر بالقراءة إذا لم تسقط عن المأموم، لأن المأموم إذا قرأ الفاتحة والإمام يقرأ فلن تتحقق الغاية من الجهر بالقراءة.

أدلة القول الثالث:

أ- قوله تعالى: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الأعراف: ٢٠٤].

ب- عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له إمام فإن قراءة الإمام له قراءة».

[رواه ابن ماجه وحسنه الألباني].

الرأي الراجح: هو الرأي الأول القائل بوجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة الجهرية والسرية وهو ما رجحه العلامة ابن عثيمين رحمه الله حيث قال: «ولكن كيف نجيب عن هذه الأدلة؟ نجيب عنها بأنها عامة، والأمر بقراءة الفاتحة أخص منها، وإذا كان أخص وجب تقديم الأخص، وأما القول بأن قراءة الإمام إذا كان المأموم يستمع لها قراءة للمأموم فنعم نحن نقول بذلك، لكن فيما عدا الفاتحة، ولهذا يعتبر المأموم الذي يستمع إلى قراءة ما بعد الفاتحة قارئًا لها، لكن ورد في قراءة الفاتحة نص، وأما قولهم: أنه لا فائدة من جهر الإمام إذا ألزمنا المأموم بالقراءة، فنقول: هذا قياس في مقابلة النص والقياس في مقابلة النص مطروح». اهـ.

صور الإخلال في ركن الفاتحة

الأولى: أن يترك قراءة الفاتحة عمدًا فتبطل صلاته وصلاة من خلفه، أو يتركها نسيانًا أو جهلاً بحكمها ثم لا يقرؤها بعد تذكيره من قبل المأمومين.

الثانية: أن يلحن في الفاتحة لحنًا يحيل المعنى، واللحن تغيير الحركات سواء كان تغييرًا صرفيًا أو نحويًا، ومن أمثلته:

١- أن يقول: «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» بفتح الهمزة، فهذا يحيل المعنى، لأن «أهدنا» من الإهداء، أي: إعطاء الهدية، أما «اهدنا» بهمزة الوصل أي: دلنا ووفقنا.

٢- أن يقول: «إياكِ نعبد» بكسر الكاف، فهذه إحالة شديدة تبطل الصلاة.

٣- أن يقول: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ» بضم التاء، فيصبح القارئ هو المنعم وليس الله عز وجل.

الثالثة: أن يبدل حرفًا بحرف وهو الألثغ، مثل أن يبدل الراء باللام، أي: يجعل الراء لامًا، مثل: «الحمد لله لب العالمين».

الرابعة: أن يدغم في الفاتحة ما لا يدغم مثل: «الحمد للرب العالمين»، فيدغم الهاء بالراء، فهذا إدغام غير صحيح لأن الهاء بعيدة عن الراء.

فإذا كان الإمام أميًا لا يحسن الفاتحة على النحو الذي ذكرناه وأم قومًا فإننا نفرق بين حالتين:

الحالة الأولى: إذا أم قارئين بطلت صلاتهم.

الحالة الثانية: إذا أم أميين مثله صحت صلاتهم لمساواته لهم في النقص.

٤- الإخلال الواقع في ركن الركوع

١- أن يترك الركوع متعمدًا، أو يتركه نسيانًا أو جهلاً ولا يأتي به عند تذكيره به من قبل المأمومين فإن كان تركه متعمدًا بطلت صلاته وأثم، وإن كان تركه ناسيًا أو جاهلاً ولم يأت به بطلت صلاته ولم يأثم.

٢- أن لا يطمئن في الركوع فيأتي به مسرعًا فتبطل صلاته وصلاة من خلفه، فقد أمر النبي ﷺ المسيء في صلاته بالاطمئنان في ركوعه، فقال ﷺ: «ثم اركع حتى تطمئن راكعًا».

والواجب من الركوع: قال بعض العلماء: أن ينحني بحيث يكون إلى الركوع التام أقرب منه إلى الوقوف التام، بحيث يعرف من يراه أنه راكع.

٥- الإخلال الواقع في ركن الرفع من الركوع

١- أن يترك الرفع من الركوع متعمدًا فتبطل صلاته وصلاة من خلفه، أما إن ترك الرفع من الركوع نسيانًا أو جهلاً - بأن نزل من الركوع إلى السجود مباشرة - فعليه أن يأتي بذلك الركن عند تذكيره فإن لم يأت به بطلت صلاته.

٢- أن يترك الاطمئنان في الرفع من الركوع، فإن ترك الاطمئنان في ذلك الركن بطلت صلاته، وذلك لقوله للمسيء في صلاته: «ثم ارفع حتى تطمئن رافعًا».

وللحديث بقية إن شاء الله.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

١٧٣١– عن عمرو قال: قلتُ لعروة: كَمْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ ؟ قالَ: عَشْرًا. قالَ: قُلْتُ: فإِنَّ ابن عباس يقول: ثَلاَثَ عَشْرَةَ. م(٢٣٥٠).

١٧٣٢– عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فقال: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، والمُقَفِّي، والحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ». م(٢٣٥٥)، حم (١٩٦٤٠)، (١٩٥٤٢)، (١٩٦٧١)، حب (٦٣١٤)، هق (١٥٧/١٥٦/١).

١٧٣٣– عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فقال: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ». قال: فَخَرَجَ شيصًا فمرَّ بِهِمْ فقال: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قالوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا. قال: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ». م(٢٣٦٣)، حم (٢٤٩٧٤)، جه (٢٤٧٠)، (٢٤٧١).

١٧٣٤– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صِيَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ». م (٢٣٦٧)، حب (٦١٨٣).

١٧٣٥– عن أنس رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ». م(٢٣٦٩)، حم (١٢٨٢٦)، (١٢٩٠٧)، د(٤٦٧٢)، ت(٣٣٥٢).

١٧٣٦– عن أنس رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ». م(٢٣٧٥)، حم (٢٠٦٢٠)، (١٢٢١١)، (١٢٥٠٦)، ن(١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١/١٣٣١= كبرى)، حب (٤٩، ٥٠).

١٧٣٧– عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا». م(٢٣٧٩)، حم (٧٩٥٢)، (٩٢٦٨)، جه(٢١٥٠)، حب (٥١٤٢).

١٧٣٨– عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي، وَقَدْ اتَّخَذَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلاً». م(٢٣٨٣)، حم (٣٥٨٠)، (٣٦٨٩)، (٣٧٤٩)، (٣٧٥٠)، (٣٧٥١)، (٣٧٥٢)، ت(٣٦٥٥)، ن(٥/٨١٠٤= كبرى)، جه (٩٣)، حب (٦٨٥٥).

١٧٣٩– عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال: سمعتُ عائشة رضي الله عنها، وسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَو اسْتَخْلَفَهُ ؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثُمَّ مَنْ بعد أبي بكر ؟ قالت: عُمر، ثم قيل لها: مَنْ بَعْدَ عُمر ؟ قالت: أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، ثم انتهت إلى هذا. م(٢٣٨٥).

١٧٤٠– عن عائشة رضي الله عنها: قال النبيُّ ﷺ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أحدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ مِنْهُمْ». م (٢٣٩٨)، حم (٢٤٣٣٩)، ت(٣٦٩٣)، ن(٥/٨١١٩ = كبرى)، حب (٦٨٩٤)، تفرد به عن البخاري، وورد عند البخاري بلفظ قريب من طريق أبي هريرة.

١٧٤١– عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال عمرُ رضي الله عنه: وافقْتُ ربي في ثلاثٍ: في مَقَامِ إبراهيمَ، وفي الحجابِ، وفي أُسارَى بَدْرٍ. م (٢٣٩٩).

١٧٤٢– عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ كان على حِرَاء، هُوَ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبير، فتحركت الصخرةُ، فقال رسول الله ﷺ: «اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». م(٢٤١٧)، حم (٩٤٣٠)، ت(٣٦٩٦)، ن(٥/٨٢٠٧= كبرى)، حب (٦٩٨٣).

١٧٤٣– عن إياس عن أبيه قال: لقد قُدْتُ بنبيِّ الله ﷺ والحَسَنِ والحُسَيْنِ بَغْلَتَهُ الشَّهْبَاءَ، حتى أدْخَلْتُهُمْ حُجْرَةَ النَّبِيِّ ﷺ، هَذَا قُدَّامَهُ وهذا خَلْفَهُ. م(٢٤٢٣)، ت(٣٧٧٥)، حب (٥٦١٨).

١٧٤٤– عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ، قال: وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِي إِلَيْهِ فَحَمَلَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ جِيءَ بِأَحَدِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ، قَالَ:

فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةً عَلَى دَابَّةٍ. م(٢٤٢٨)، حم (١٧٤٣)، د(٢٥٦٦)، ن(٢/٤٢٤٦- كبرى)، جه (٣٧٧٣).

١٧٤٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت: بَشَّرَ رَسُولُ الله ﷺ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ. م(٢٤٣٤).

١٧٤٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمْ يَتَزَوَّجْ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ. م(٢٤٣٦).

١٧٤٧- عن عائشة رضي اللهُ عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يدًا». قالت: فكُنَّ يتطاولْنَ أَيَّتُهُنَّ أطول يدًا، قالت: فكان أطولَنا يدًا زينبُ لأَنَّها كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وتَصَدَّقُ. م(٢٤٥٢)، حب (٣٣١٤)، (٦٦٦٥)، هق (٦/٣٧٤).

١٧٤٨- عن أنس رضي الله عنه قال: انْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أم أَيْمَنَ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَنَاوَلَتْهُ إِنَاءً فِيهِ شَرَابٌ. قال: فَلَا أَدْرِي أَصَادَفَتْهُ صَائِمًا أَوْ لَمْ يُرِدْهُ، فَجَعَلَتْ تَصْخَبُ عَلَيْهِ وَتَذَمَّرُ عَلَيْهِ. م (٢٤٥٣).

١٧٤٩- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْفَةً، فقلتُ: مَنْ هَذَا ؟ قالوا: هَذِهِ الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ». م(٢٤٥٦)، حم (١١٩٥٥)، (١٢٠٣٥)، (١٢٢٥٨)، (١٣٥١٤)، (١٣٨٣٠).

١٧٥٠- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا» [المائدة: ٩٣] إلى آخر الآية. قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «قِيلَ لِي: أَنْتَ مِنْهُمْ». م(٢٤٥٩)، ت(٣٠٥٣)، ن(٦/١١١٥٣- كبرى).

١٧٥١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال وجَنَازةُ سعدٍ موضوعةٌ: «اهْتَزَّ لَهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ». م(٢٤٦٧)، حم(١٣٤٥٤)، حب (٧٠٣٢).

١٧٥٢- عن أنس رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ أخذَ سيفًا يومَ أُحدٍ فقال: «مَنْ يأْخُذُ مِنِّي هَذَا ؟» فبسطوا أيديَهُمْ، كلُّ إنسانٍ منهم يقولُ: أنا، أنا، قال: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قال: فأحجَمَ القومُ، فقال سِمَاكُ بنُ خَرَشَةَ أبو دجانة: أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قال: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. م(٢٤٧٠)، حم (١٢٢٣٧).

١٧٥٣- عن أنس رضي الله عنه قال: دخلَ النبيُّ ﷺ علينا وما هو إلا أنا وأمي وأُمُّ حَرَام خالتي، فقالت أمي: يا رسول الله، خُوَيْدِمُكَ، ادع اللهَ له. فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ». م(٢٤٨١)، حم (١٣٥٩٥)، ت(٣٨٢٧)، حب(٧١٧٧).

١٧٥٤- عن جابر رضي الله عنه أن عبدًا لحاطبٍ جاء رسولَ الله ﷺ يشكو حاطبًا، فقال: يا رسول الله، لَيَدْخُلَنَّ حاطبٌ النار، فقال رسولُ الله ﷺ: «كَذَبْتَ، لا يَدْخُلُها، فَإِنَّه شَهِدَ بَدْرًا والْحُدَيْبِيَةَ». م(٢٤٩٥)، حم(١٤٤٩١)، (١٤٧٧٧)، ت(٣٨٦٤)، ن(٥/٨٢٩٦ - كبرى)، (٦/١١٠٧٤- كبرى)، حب (٤٧٩٩)، (٧١٢٠).

١٧٥٥- عن أم مُبَشِّر قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَها». فقالت حفصة: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا». فقال النبي ﷺ: «قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا». م(٢٤٩٦)، حم(٢٦٥٠٢)، (٢٧١١٠)، (٢٧٤٣١)، ن(١١٣٢١، ٦/١١٥٠٨- كبرى)، جه (٤٢٨١)، حب (٤٨٠٠).

١٧٥٦- عن أنس رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ استغفرَ للأنصار، قال: وأحسبُهُ قال: «وَلِذَرَارِيِّ الأَنْصَارِ، وَلِموالِي الأنصَار». م(٢٥٠٧)، حب(٧٢٨٢).

١٧٥٧- عن أبي ذر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لها، وأَسْلَمُ سَالَمَهَا الله». م(٢٥١٤).

١٧٥٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، أما إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا، وَلَكِنْ قَالَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». م(٢٥١٦).

١٧٥٩- عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأَنْصَارُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَغِفَارٌ وَأَشْجَعُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللهِ، مَوَالِيَّ دُونَ النَّاسِ، وَاللهُ وَرَسُولُهُ مَوْلاَهُمْ». م(٢٥١٩)، ت(٣٩٤٠).

١٧٦٠- عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ آخَى بَيْنَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَبَيْنَ أبي طَلْحَةَ. م(٢٥٢٨)، حم (١٣٥٤٧).

١٧٦١- عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاَ حِلْفَ فِي الإِسْلاَمِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلاَمُ إِلاَّ شِدَّةً». م(٢٥٣٠)، حم(١٦٧٦١)، د(٢٩٢٥)، ن(٤/٦٤١٨- كبرى)، حب (٤٣٧١).

جمع كلمة الأمة على الكتاب والسنة





إعداد: د/ عبدالله شاكر

نائب الرئيس العام

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

تمر بالمسلمين بين الفينة والأخرى فتنة تزيد من فرقتهم، وتقضي على جماعتهم، وقد حذرنا الله تعالى الفتن في كتابه فقال عز وجل: «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [الأنفال: ٢٥]، وقد بوَّب الإمام البخاري في الصحيح بابًا لهذه الآية(١)، وهذا لأهمية ما اشتملت عليه، وحديث حذيفة في الفتن معروف ومشهور(٢).

وكان من آخر الفتن التي مرت بالمسلمين ما وقع لإخواننا في غزة من قتل وتشريد وهدم وضياع، وقد استغل أرباب الأهواء ودعاة الباطل ما حصل، فروجوا لبدعهم الظالمة، ورموا غيرهم بما ليس فيهم، واستغل الرافضة هذا الحدث استغلالاً عظيمًا، وأرادوا من وراء ذلك أن يكون لهم ظهور ووجود بين عامة أهل السنة، وكأنهم حماة الدين وحراس العقيدة!! والذابون عن بلاد المسلمين، كما أصدرت جهةٌ ما بيانًا كاذبًا زجُّوا فيه باسمي وبأسماء بعض إخواني في أنصار السنة المحمدية، زعموا فيه أنهم يرمون بعض المسلمين وحكامهم بالكفر والردة والخروج من الإسلام، وقد كذبوا فيما ذهبوا إليه، حيث لم أعلم ولم يعلم واحد من إخواني بهذا البيان إلا بعد صدوره، وبادرنا بإنكاره وبيان زيفه في حينه، وإنه لمن الظلم العظيم والضلال المبين، والخيانة للمسلمين والتدليس على شبيبتهم نسبة أقوال الفرق والمبتدعة إلى أحد من أهل السنة، وفاعل ذلك أراد أن يظهر الباطل بلباس الحق ليروج مذهبه وينصر باطله، وأداءً لبعض ما أوجب الله من البلاغ والنصح والإرشاد، وإبراءً للذمة أقول لعموم المسلمين:

إن الله – تعالى – أمرنا في كتابه بالجماعة، ونهانا عن التفرق والاختلاف في كثير من الآيات، ولكن الأمر الوارد بالاجتماع مقيد بالكتاب والسنة، قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمرن: ١٠٣].

قال ابن جرير – رحمه الله -: «يريد بذلك تعالى ذكره: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله»(٣).

ثم ساق بأسانيده عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال في قوله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا» قال الجماعة(٤)، وفي عبارة ابن جرير السابقة بيان للضابط المهم الذي يجب أن يكون الاجتماع عليه وهو قوله: «والاجتماع على كلمة الحق»، وهذا هو الأساس الذي يجب أن يكون الاجتماع عليه، وإلا وقع التفرق والضياع، وحدث الشقاق والخلاف، وكثيرًا ما تطلق كلمة الحق على كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» ولازمتها: «محمد رسول الله، ﷺ» وهو كلام صحيح، فمن عرف التوحيد والسنة قام بالدين كله، وابن كثير – رحمه الله – ذكر أن المراد بحبل الله الوارد في الآية هو العهد، وقيل: القرآن الكريم، ثم بيَّن أن هذا هو سبيل النجاة وطريق الفوز، فقال: «وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث

الصحيحة المتعددة أيضًا، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة، فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلَّمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه»(٥).

قال القرطبي - رحمه الله -: «قال ابن عباس لسمَّاك الحنفي: يا حنفي، الجماعة الجماعة، فإنما هلكت الأمم الخالية لتفرقها، أما سمعت الله عز وجل يقول: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» إلى أن قال: «فاوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه ﷺ والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذي تتم به مصالح الدنيا والدين، والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين، هذا معنى الآية على التمام»(٦).

قُلْتُ: على طالب العلم أن يتأمل الكلمات الدقيقة والعبارات الرائعة المذكورة في كلام القرطبي السابق، والتي نصَّ فيها على أن الاجتماع على الكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً، وهذا هو الاجتماع الصحيح، وأصحابه هم الجماعة الحقة، أما الاجتماع على الباطل، أو التلفيق بين المواقف، فهذا ليس من دين الله في شيء، والآيات الدالة في كتاب الله على وجوب الاجتماع على الكتاب والسنة كثيرة، ولكني أكتفي بالآية السابقة فحسب لأذكر شيئًا من كلام النبي ﷺ في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»(٧).

قال النووي - رحمه الله - في شرحه للحديث: «وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده، والتأدب بأدبه، والحبل يطلق على العهد وعلى الأمانة، وعلى الوصلة، وعلى السبب، وأصله من استعمال العرب الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم، ويوصلون بها المتفرق، فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور، وأما قوله ﷺ: «ولا تفرقوا»، فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام»(٨).

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالشام، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال: «استوصوا بأصحابي خيرًا، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يُعْجل الرجل بالشهادة قبل أن يُسْأَلها، وباليمين قبل أن يسألها، فمن أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

وقد ذكر الإمام الشافعي - رحمه الله - هذا الحديث في كتابه الرسالة وعقب عليه بقوله: «فما معنى أمر النبي ﷺ بلزوم جماعتهم ؟ قلت: لا معنى له إلا واحد، فإن قيل: فكيف لا يحتمل إلا واحدًا ؟ قلت: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم الأبدان معنى، لأنه لا يمكن، ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئًا، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها »(١٠).

وكلام الشافعي في هذا دقيق جدًا، ومعناه أنه يجب لزوم جماعة المسلمين في التحليل والتحريم، وهذا في الأحكام والمعاملات، كما يجب لزوم ما تقول به الجماعة، وهذا في مسائل الاعتقاد، حتى لا يخرج أحد في كل ذلك عن سبيل المؤمنين ومعتقد السلف الصالح، وقد عصم الله هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة أبدًا، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار»(١١).

قال المباركفوري - رحمه الله - في شرحه للحديث: «الحديث يدل على أن اجتماع المسلمين حق، والمراد إجماع العلماء ولا عبرة بإجماع العوام، لأنه لا يكون من علم، «ومن شذ» أي: انفرد عن الجماعة باعتقاد، أو قول، أو فعل لم يكونوا عليه «شذ إلى النار» أي: انفرد فيها، ومعناه: انفرد عن أصحابه الذين هم أهل الجنة وألقي في النار»(١٢).

وعليه فلا بد أن تكون الأمة مجتمعة على الكتاب والسنة، لا تتنازعها الأهواء، ولا تنفذ إليها البدع والضلالات، وهذا الأمر الذي ذكرت أدلته هنا من الأصول الاعتقادية العظيمة عند أهل السنة والجماعة، وقد أدرجه الإمام الطحاوي - رحمه الله - ضمن عقيدة أهل السنة والجماعة، فقال: «ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وضلالاً»(١٣).

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - منهج أهل السنة وطريقتهم فيقول: «ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثر كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سمُّوا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط: هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»(١٤).

وكلام شيخ الإسلام في هذا نفيس، وقد بين أن أهل السنة والجماعة هم أهل الحق، وهم الجماعة، وأن المخالفين لهم أهل بدعة وضلالة، كما بين رحمه الله في موطن آخر أن مذهب أهل السنة والجماعة امتداد لما كان عليه النبي ﷺ وصحابته الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين، وأنه ليس عندهم كلام محدث، أو مذهب باطل.

يقول رحمه الله: «ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم، وأحمد بن حنبل، وإن كان قد اشتهر بإمام السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله علمها ودعا إليها وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة»(١٥).

وعلى ضوء ما قررته سابقًا أقول: إن نسبة مذهب أهل السنة إلى عالم من العلماء إنما هو باعتبار إحيائه للسنة ودعوته إليها والتمسك بها، وتجديد ما اندرس منها في عصر من العصور، لا باعتبار أنهم أتوا بشيء جديد من عند أنفسهم، وما كان لمقتفي السنة والأثر أن يخرج عن الجماعة، ولذلك نجد كلام أهل السنة في مسائل الاعتقاد واحدًا، وإن اختلفت عباراتهم، وتباعدت ديارهم وأزمانهم، فهم أهل الحق والصواب، ومسلكهم هو المسلك الصحيح الموصل إلى جنات النعيم، وقد أصبح اسم «أهل السنة والجماعة» علمًا على الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وهو اسم قامت عليه الأدلة، فينبغي لنا التمسك به، وقد جعل الإمام الآجري - رحمه الله - علامة الهدى والصلاح اتباع الكتاب والسنة، فقال: «علامة من أراد الله به خيرًا سلوك هذا الطريق، كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه - رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر من كان من العلماء مثل: الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، ومن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كل مذهب يذمه هؤلاء العلماء»(١٦).

وختامًا فإني أحذر عموم المسلمين من الخروج على جماعة المسلمين - أهل السنة والجماعة -، ومن الخوض مع الخائضين، والسير في ركاب الأفاكين، وترويج الكلام الباطل بدون بينة عليه أو يقين، ونصيحتي لجميع من يتكلمون ما قاله رب العالمين في كتابه الكريم: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً» [الإسراء: ٣٦]. والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- انظر صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، كتاب الفتن باب ١ ج٣/١٣.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب ١١ ج٣٥/١٣، ومسلم في كتاب الإمارة باب ١٣ جـ١٤٧٥/٣ وغيرهما.

٣- تفسير الطبري جامع البيان في تفسير القرآن جـ٢١/٤.

٤- المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

٥- تفسير ابن كثير ج٧٤/٢.

٦- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن جـ١٤٠٦/٢.

٧- صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب ٥ جـ١٣٤٠/٣.

٨- شرح النووي على مسلم جـ١١/١٢.

٩- أخرجه الترمذي بأتم من هذا في أبواب الفتن جـ٣٨٣/٦ - ٣٨٥ مع تحفة الأحوذي ومثله الحاكم جـ١١٤/١، وغيرهما.

١٠- الرسالة للشافعي ص٤٧٥، ٤٧٦.

١١- أخرجه الترمذي في أبواب الفتن باب في لزوم الجماعة، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي جـ٢٣٢/٢.

١٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي جـ٣٨٦/٦.

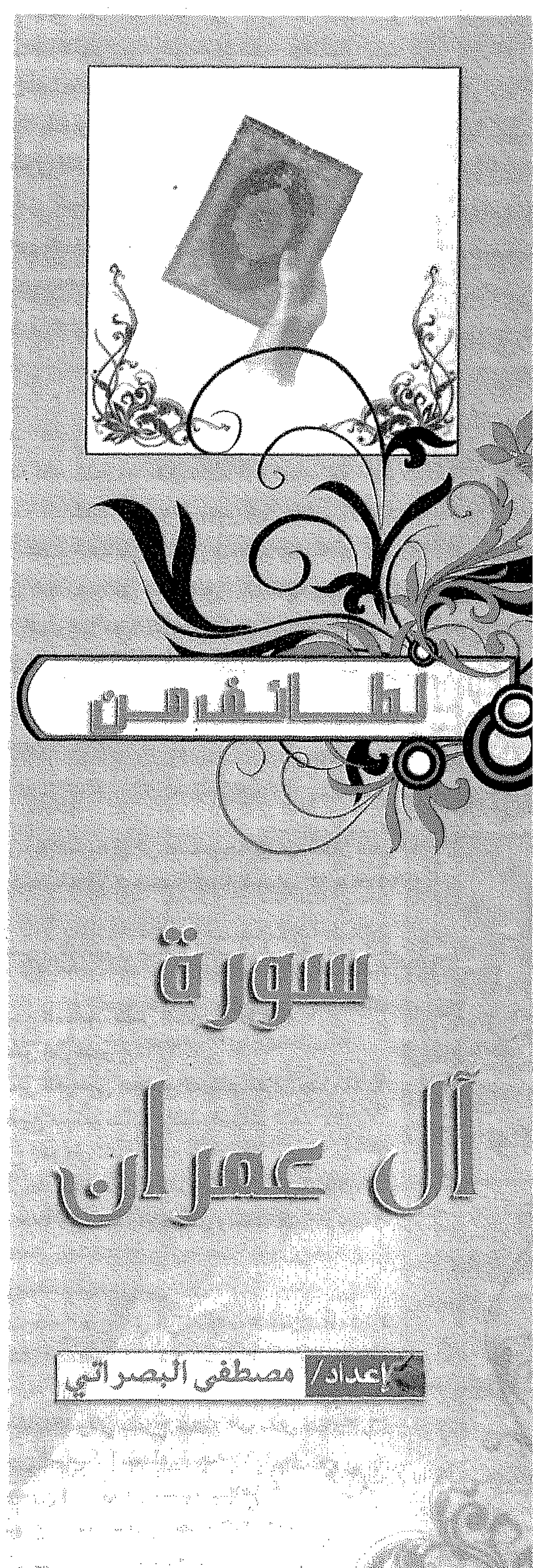
١٣- شرح العقيدة الطحاوية جـ٧٧٥/٢.

١٤- مجموع فتاوى ابن تيمية جـ١٥٧/٣.

١٥- منهاج السنة النبوية جـ٦٠١/٢، ٦٠٢.

١٦- الشريعة للآجري ج٣٠١/١.





الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً حول قصة مريم ومعجزة ولادة عيسى عليه السلام، وسنتكلم في هذا العدد حول الآية السابعة والأربعين من سورة آل عمران:

قال تعالى: «قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

«قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ» هي الآن تخاطب الله، والذي كان يخاطبها الملائكة أو جبريل، لكنها لما قالوا إن الله يبشرك وعلمت أن الأمر من الله وجهت الخطاب إليه سبحانه وتعالى فقالت: «رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَد»، وتأمل هذا الاستعطاف منها حيث قالت: «رب»، ومعلوم أن كلمة رب هنا مضافة إلى ياء المتكلم التي حذفت للتخفيف وأصلها: «ربِّي أنَّى يكون لي ولد».

وقولها: «أنى يكون لي ولدٌ» هذا استفهام يعني: من أين يكون لي الولد ولم يمسسني بشر، وهذا الاستفهام ليس على سبيل الشك، وليس على سبيل الاستبعاد، ولكنه على سبيل الاستثبات وزيادة الطمأنينة كقول إبراهيم عليه السلام: « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى » [البقرة: ٢٦٠]، ولم يكن ذلك عن شك، وقوله: « وَلَمْ يَمْسَسْنِي » جملة حالية، يعني والحال أنه لم يمسسني بشر، أي: لم يجامعني، لأن المس يطلق على الجماع، ويكنى به عنه كما قال تعالى: «لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن» [البقرة: ٢٣٦] أي: تجامعوهن، «ولم يمسسني بشر» فمن أين يكون الولد؟ «قال كذلكِ»، قال الله عز وجل لأنها نادت الله: «رب أنى يكون لي ولد» «... قال كذلكِ»، يعني الأمر كذلك، فالجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره «الأمر»، وعلى هذا فيحسن الوقوف هنا، أي يحسن أن تقف فتقول: كذلك، ثم تبتدئ فتقول: «الله يخلق ما يشاء»، وهذا التركيب له نظائر في القرآن، مثل قوله: «كذلك وزوجناهم بحور عين» [الدخان: ٥٤]، وإنما تأتي هذه الصيغة للتقرير والتثبيت، يعني الأمر مثلما وقع تماماً.

وقوله سبحانه وتعالى: «الله يخلقُ ما يشاء».

«الله» لفظ الجلالة مبتدأ، وجملة يخلق خبر، أي: أن الله سبحانه يخلق ما يشاء سواء كان على وفق العادة أو على خلاف العادة، فعيسى عليه السلام جاء على خلاف العادة، لكن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب - أي خلق آدم من تراب - ثم قال له كن فيكون، فالله على كل شيء قدير.

وقد ذكر أهل العلم أن البشر منهم من خلق بلا أم ولا أب، ومنهم من خلق من أم بلا أب ومنهم من خلق من أب بلا أم، وأكثر الخلق من أم وأب.

فالذي خلق من غير أم ولا أب «آدم»، ومن أب بلا أم «حواء» امرأة آدم، ومن أم بلا أب «عيسى» وسائر الناس من أب وأم.

«الله يخلق ما يشاء» أي: الذي يشاء كمّا وكيفًا وعلى سبب معلوم وعلى سبب غير معلوم، فالله سبحانه لا معقب لحكمه، ويخلق ما يشاء، قلنا: بالكمية والكيفية والسبب المعلوم والسبب غير المعلوم وأيضًا النوعية، والنوعية ما أكثر أنواع الخلق لا يحصيها الإنسان فضلاً عن أفرادها، وما أكثر الخلق، لو أردت أن تحصي الخلائق ما استطعت، والله تعالى قد أحصاهم ورزقهم وأمدهم وأعد كل مخلوق لما خُلق له، قال فرعون: «فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» [طه: ٤٩، ٥٠]، كل شيء أعطاه الله خلقه المناسب له ثم هداه لما خلق له، انظر أحيانًا تفتش الكتاب للمراجعة فتجد فيه حيوانًا لا يدركه البصر إلا بكلفة ! مَن خلقه؟ الله، ومن أمده برزقه المناسب له ؟ هو الله عز وجل، فما بالك بالخلق الكثير الذي هو أكبر من هذا بكثير؟! الحاصل أن الله يخلق ما يشاء كمّا وكيفًا ونوعًا، وبسبب معتاد وبسبب غير معتاد، لا حَجْرَ على الله عز وجل، يخلق ما يشاء ويفعل ما يشاء.

وعبر هنا بالخلق وفي قصة يحيى بالفعل، حينما قال زكريا عليه السلام: « قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ » [آل عمران: ٤٠] لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فكان الخلق المنبئ عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل.

«إذا قضى أمرا» هو من كلام الله. وقضى: أي قضاءً كونيًا، لأن القضاء له معنيان كوني وشرعي، فمن أمثلة الشرعي قوله تعالى : «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه» [الإسراء: ٢٣]، ومن أمثلة الكوني قوله تعالى: «وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا» [الإسراء: ٤] قضينا شرعًا أو كونا؟ الجواب: كونًا، ولا يصح شرعًا، لأن الله لا يقضي شرعًا بالفساد أبدًا، فهو لا يحب الفساد لكنه قضاء كوني.

والفرق بين القضاءين الكوني والشرعي:

١- أن القضاء الشرعي متعلق بما يحبه الله من فعل المأمور أو ترك المحظور، والقضاء الكوني يتعلق فيما أحبه الله وفيما لا يحبه الله.

٢- القضاء الشرعي قد يقع وقد لا يقع، قد يقع من المقضى عليه وقد لا يقع، والقضاء الكوني لا بد أن يقع من المقضي عليه.

ومن أمثلة القضاء الكوني: قوله تعالى: «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ » [سبأ: ١٤]، وقوله تعالى: « وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ » [هود: ٤٤]، وكقوله تعالى: « وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ » [القمر: ٥٠]، وقوله تعالى: «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» [النساء: ٤٧]، وقوله تعالى: « وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا » [مريم: ٢١].

وقوله تعالى: « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا » [الإسراء: ١٦].

فهذا قضاء كوني لا قضاء ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والمعنى قضينا ذلك وقدرناه.

ومن أمثلة القضاء الشرعي: قوله تعالى: « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » [النحل: ٩٠]، وقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى

أَهْلِهَا» [النساء: ٥٨]، وكقوله تعالى: « مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ » [المائدة: ١٠٣] أي: ما شرع ذلك ولا أمر به.

قال تعالى: «إِذَا قَضَى أَمْرًا» « أَمْرًا » مفرد جمعه أمور أم أوامر ؟

الجواب: أمور، لأن المراد هنا الشأن يعني: إذا قضى شأنًا - أي شأن من الشئون - فإنما يقول له كن فيكون، لا يحتاج إلى عمل ولا إلى آلات ولا إلى أي سبب، كل الخلائق مسلمة لله عز وجل: « وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ » [آل عمران: ٨٣]، تنتظر الأوامر، إذا صدر الأمر من الله عز وجل كان المأمور الأمر الكوني: بقول كن فقط فيكون. قال الله تعالى عن البعث، بعث الخلائق كلها: « فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ » [النازعات: ١٣- ١٤].

وبين الله تعالى في سورة القمر كيف هذا الأمر هل يكرر ؟ هل يتأخر المأمور ؟ فقال: «وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ» [القمر: ٥٠]،ولا يوجد تكرار - واحدة - ولا يتأخر المأمور «كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ» [القمر: ٥٠] يعني لو شاء الله عز وجل لأمر هذه الأرض أن تزول ومن فيها بلحظة: «كُنْ فَيَكُونُ»، هذه القدرة التامة العظيمة التي لا تنسب قدرة الخلق إليها.

«إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» أي: فلا يتأخر شيئًا، بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة.

ثم قال تعالى: «وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ» [آل عمران: ٤٨]، « وَيُعَلِّمُهُ» الضمير يعود على عيسى، والفاعل هو الله عز وجل يعلمه الكتاب لأن عيسى كغيره من البشر لا يعلم إلا ما علمه الله، قال الله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» [الجن: ٢٦، ٢٧].

«الكتاب»: بمعنى المكتوب، وهل المراد أنه يعلمه الكتابة، يعني يحسن الخط أو المراد أنه يعلمه الكتب السابقة ؟

الجواب: كلاهما لا يتنافيان علمه الكتابة فكتب، وعلمه الكتب السابقة وعلمه التوراة والإنجيل، والتوراة من باب عطف الخاص على العام لشرفه، وأما الإنجيل فإنه لم ينزل على أحد قبل عيسى.

وقوله: «والحكمة» يعني الشريعة، لأن الشريعة من الله، وكل ما كان من الله فهو متضمن للحكمة، قال الله تعالى لنبينا محمد ﷺ: «وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» [النساء: ١١٣]، فالحكمة هي الشرع، وهو موافق لمن فسر ذلك بالسنة ؛ لأن سنة النبي ﷺ هي شرعه الذي جاء به من الله، فعلمه الله عز وجل الحكمة، و«ال» في «الحكمة» للعهد الذهني، يعني الشرع الذي شرعه الله لعيسى وليس كل الحكمة بل الحكمة التي شرعت له.

«والتوراة والإنجيل» التوراة: الكتاب الذي أنزله على موسى والإنجيل الكتاب الذي أنزله الله على عيسى، التوراة كتبها الله تعالى كتابة «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ» [الأعراف: ١٤٥]، ولهذا قال أهل العلم من علماء السلف: إن الله تعالى غرس جنة عدن بيده، وخلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده سبحانه وتعالى، ونزلت ألواحًا على موسى وفيها ما تقتضيه المصلحة والحاجة والضرورة في ذلك الوقت.

وأما الإنجيل: فهو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على عيسى، وهو بالنسبة للتوراة كالمكمل لها كما قال تعالى فيما يأتي من الآيات: «وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» [آل عمران: ٥٠]، فهو كالمتمم للتوراة، لأنه في الحقيقة نزل على بني إسرائيل الذين أنزلت عليهم التوراة، ومن المعلوم أن حال بني إسرائيل تغيرت من وقت موسى إلى عيسى، فكان في الإنجيل أشياء فيها تعديل أو زيادة فهو متمم للتوراة.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الحمد لله الذي وسع سمعه جميع الأصوات، يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء في الليلة الظلماء، وسمع دعاء عبده يونس من أعماق البحر وهو في بطن الحوت في ظلمة الليل البهيم في ظُلمات ثلاث، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

وبعد:

وقفنا معًا في اللقاء السابق على الحالة التي كان عليها نبيٌّ الله يونس عليه السلام من الرغبة الأكيدة في الفرار إلى الله وبخاصة بعد علمه برحمة الله التي وسعت قومه، فأراد أن يفرَّ إلى هذه الرحمة وهو على يقين أنه سيدركها وتدركه، حتى لو كان في عمق البحر.

الكلمة الخامسة: «...لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

نريد هنا أن نقرر أن المؤمن يستشعر هفوته وذنبه مهما كان صغيرًا يحمله على رأسه كالجبل، بينما المنافق لا يشعر بذنبه مهما كان كبيرًا وإن شعر فإنه يشعر به كالريشة فوق رأسه، وبهذا يتفاوت الناس في إيمانهم وعلاقتهم بربهم من الأنبياء فالأمثل فالأمثل، أما الاستغفار والتوبة فهي زاد المؤمن حتى لو كان من المقربين، ألم تر إلى خير رسل الله محمد بن عبد الله ﷺ كيف كان يكثر من الاستغفار والتوبة، حتى كان يُحصَى له في المجلس الواحد أكثر من مائة استغفار، وهو مَن غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، وها هو عبد الله ورسوله يونس يجد نفسه في عمق البحر وفي بطن الحوت، فماذا يفعل؟ هتف من أعماقه: « لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، علم يونس - عليه السلام - أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا منقذ له مما هو فيه إلا الله، فناداه نداء العبد الوجل المقر بذنبه والمقر قبل ذلك بوحدانية ربه وعبوديته له، وهو على يقين أن الله يسمعه ويراه، وأنه سبحانه يجيب دعاء المضطر إذا دعاه، ولم يخيِّب الله رجاء عبده الصادق فاستجاب له ونجاه، وقال سبحانه: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي

الْمُؤْمِنِينَ»، فجاءت الإجابة سريعة، وهذا عهده سبحانه مع عباده المؤمنين في كل زمان ومكان.

الكلمة السادسة: «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ»:

١- اعرف ربك في الرخاء يعرفك عند البلاء:

قد سمع الله دعاء عبده يونس من فوق سبع سماوات، بينما كان يونس في أعماق البحر وفي بطن الحوت وفي ظلمة الليل.

روى ابن أبي حاتم بسنده أن يزيد الرقاشي قال: سمعتُ أنس بن مالك، ولا أعلم إلا أن أنسًا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ: أن يونس النبي عليه السلام حين بدا له(١) أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاقبلت هذه الدعوة تحت العرش، فقالت الملائكة: يا رب، صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، قال: أما تعرفون ذاك ؟ قالوا: لا يا رب ومن هو ؟ قال: عبدي يونس، قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يُرفعُ له عمل صالح متقبل ودعوة مُجابة، قالوا: يا رب، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه في العراء. أورده ابن كثير في تفسيره.

٢- فضل دعوة ذي النون:

نقل الإمام ابن كثير أيضًا في تفسيره من مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص وعثمان بن عفان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها مسلم ربَّه في شيء قط إلا استجيب له».

٣- دعوة يونس له ولجميع المسلمين:

وروى ابن جرير بسنده إلى سعيد بن المسيب قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى». قال: قلت: يا رسول الله، هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ قال: «هي ليونس بن متى خاصة ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها، ألم تسمع قول الله عز وجل: «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ»، فهو شرط من الله لمن دعاه به».

الكلمة السابعة: «فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أي: فلولا ما تقدم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه أيضًا ولجوءه إلى الله بالذكر والدعاء حال وقوعه في بطن الحوت لمكث في بطن الحوت وصار له قبرًا إلى يوم البعث المعلوم، بل لاختلطت عظامه بعظام الحوت ولحمه بلحم الحوت ودماؤه بدماء الحوت حيث يهضمه الحوت ويصير أثرًا بعد عين، (يا سبحان الله)، ولكنه (سبحانه) أوحى إلى الحوت ألا يكسر له عظمًا، وألا يهضم له لحمًا، وأمره في النهاية أن يلفظه على الشاطئ كما التقمه من البحر، فالحوت جند من جند الله كما أن الريح والماء والنار والسماوات والأرض والجبال من جند الله وكلها تسبِّح بحمده ولكن لا نفقه تسبيحهم.

فاعرف ربك في الرخاء والجأ إليه عند البلاء يُنْجِك من كل كرب يقع بك، والمولى سبحانه وتعالى قد وعد بذلك ووعده حق، وبذلك أيضًا أخبر النبي ﷺ من سأله، فقال ﷺ: «هي ليونس بن متى خاصة، ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها». فادع الله وأنت على يقين كما فعل يونس عليه السلام، وهو في أعماق البحر وبطن الحوت يعلم أن الله يسمعه ويراه كما كان مع موسى وهارون يسمع ويرى، وكما كان مع إبراهيم ونوح ومحمد وسائر النبيين وسائر عباده المخلصين، ألم يستجب لقوم يونس حين تضرعوا؟

الكلمة الثامنة: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آَمَنُوا...»:

لولا هنا هي بمعنى «هلا» التي تأتي للتحضيض كما قال الأخفش والكسائي وغيرهما، ومما يؤكد هذا المعنى أنها جاءت في مصحف أبي بن كعب وابن مسعود «فهلا قرية»، والمقصود هو توبيخ القرى التي أهلكها الله قبل قوم يونس بسبب عدم إيمانهم، أما قوم يونس فقد آمنوا فنجوا، قال تعالى: «فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ٤٣].

نعوذ بالله من غضبه وعقابه وشر عباده، آمين، وإلى لقاء.

هامش

١- وهذا الحديث فيه إخبار بأمور لا تكون إلا بوحي فيتأكد رفعه. (والله أعلم).

من محبطات الأعمال

مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبيَّ بعده، نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد:

فمع المحبط السابع للأعمال وهو:

مشاقة الرسول ﷺ

قال الله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ » [محمد: ٣٢].

يخبر الله تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول ﷺ وشاقَّه، أي: عاداه وخَرَج عن طاعته من بعد ما ظهر لهم صدقُه وأنه رسول الله ﷺ؛ إنه لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسَه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله فلا يثيبه عليه.

فعدم احترام النبي ﷺ والاستخفاف به أو الاستهزاء به ردّة عن الإسلام وكفر بالله.

قال الله تعالى في الذين استهزءوا بالنبي ﷺ وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته: « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وأخبر الله تعالى أن من كفر برسوله ﷺ، فهو كمن كفر بالله عز وجل، ومن كذّب رسوله ﷺ، فقد كذب الله عز وجل.

فقال تعالى في قصة المنافقين: « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ » [التوبة: ٨٤].

وقال تعالى: « وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [التوبة: ٩٠].

ثم أخبر الله تعالى أن من خان رسول الله ﷺ فهو كمن خان الله عز وجل، قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » [الأنفال: ٢٧].

ثم حذر الله الخلق عن إيذاء رسول الله ﷺ، في حياته، أو بعد موته، وأخبر سبحانه أن المؤذي لرسول الله ﷺ كمن آذى الله عز وجل، وأخبر سبحانه أن المؤذي لله ولرسوله ﷺ مستحق للعنة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: « وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ

تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا » [الأحزاب: ٥٣].

وأخبر سبحانه وتعالى أنه من حادَّ الرسول ﷺ بالعداوة فقد حادَّ الله عز وجل، قال تعالى: « لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » [المجادلة: ٢٢].

وبين سبحانه وتعالى عاقبة من حاد الله ورسوله، فقال سبحانه: « إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » [المجادلة: ٥].

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ » [المجادلة: ٢٠].

وقال تعالى: « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ » [التوبة: ٦٣].

وقال تعالى: « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » [النساء: ١١٥].

وأخبر سبحانه وتعالى عن أهل النار - إذا دخلوها - كيف يتأسفون ويتحسرون على ترك طاعتهم لله عز وجل ولرسوله ﷺ فندموا حيث لم ينفعهم الندم، وأسفوا حيث لم ينفعهم الأسف، فقال تعالى: « يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ » [الأحزاب: ٦٦].

وقال تعالى: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» [النساء: ٤١، ٤٢].

وفرض الله سبحانه على جميع الخلق طاعته، وحرَّم عليهم معصيته، وقرن طاعة رسوله ﷺ بطاعته عز وجل، وأعلمهم أنه من عصى رسول الله فقد عصى الله. فقال تعالى: « قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ » [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: « وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » [آل عمران: ٣١، ١٣٢].

وقال تعالى: « تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ » [النساء: ١٣، ١٤].

وقال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ » [محمد: ٣٣].

وأوجب الله تعالى على كل من حكم عليه النبي ﷺ حكمًا، ألا يكون في حَرَج أو ضيق مما حكم به الرسول ﷺ، بل يسلم لحكمه ويرضى، فقال سبحانه: « فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥].

وأخبر سبحانه وتعالى عن أهل الكتابين؛ اليهود والنصارى، أنهم يجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل، وأنه نبي، وأوجب عليهم اتباعه ونصرته.

فقال تعالى: «قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وقد أخذ الله العهد والميثاق على جميع الأنبياء إذا بعث محمدًا ﷺ وهم أحياء أن يتبعوه وأقروا بذلك. قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» [آل عمران: ٨١].

وأخبر سبحانه وتعالى أنه يظهر دين نبيه محمد ﷺ على كل دين خالفه. فقال سبحانه: « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » [التوبة: ٣٣].

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يتم لأحد الإيمان بالله عز وجل وحده حتى يؤمن بالله ورسوله: فقال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى

يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» [النور: ٦٢]، وقال تعالى: « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » [الحجرات: ١٥].

ثم إن الله عز وجل رفع قدر نبيه ﷺ وأوجب على الناس أن يصلوا على رسول الله ﷺ وأخبرهم سبحانه أنه يصلي عليه هو وملائكته. فقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » [الأحزاب: ٥٦].

كما أوجب الله تعالى تقديم حب النبي ﷺ على كل شيء: فقال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» [التوبة: ٢٤].

عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب؟ فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك». فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر». [البخاري: ٦٦٣٢].

وإليك أخي بعض فضائل نبينا الكريم لتحفزنا على أن نتخذه قدوة حسنة لنا في كل شئون حياتنا.

منها: أنه ﷺ ساد الكلَّ

قال ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة».

[البخاري: ٤٧١٢/٣٩٥/٨، ومسلم: ١٩٤/١٨٤/١].

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». [صحيح الجامع: ١٤٦٧].

والسيدُ: من اتصف بالصفات العليَّة والأخلاق السنيَّة، ولما كانت مناقب النفس إنما تذكر افتخارًا في الغالب، أراد ﷺ أن يقطع وَهمَ من توهم من الجهلة أن يذكر ذلك افتخارًا، فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر». [صحيح الجامع: ١٤٦٨، والصحيحة: ١٥٥٧١].

ومنها: أنه ﷺ أول شافع، وأول مشفع

قال ﷺ: «أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ؛ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر». [صحيح الجامع: ١٤٦٨].

ومنها: إيثاره ﷺ أمته على نفسه

وقال ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئًا». [مسلم: ١٩٩].

ومنها: أن الله تعالى أقسم بحياته ﷺ ولم يثبت هذه لغيره ﷺ

فقال تعالى: « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ» [الحجر: ٧٢]، والإقسام بحياة المُقْسَم به يدل على شرف حياته وعزتها عند المُقسِم بها.

ومنها: أن الله أرسل كل نبي إلى قومه خاصة، وأرسله ﷺ إلى الجن والإنس

قال الله تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧].

وقال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

[البخاري: ٣٣٥، ومسلم: ٥٢].

ومنها: أن الله أثنى على خلقه

فقال تعالى: « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » [القلم: ٤].

ومنها: أنَّ كتابه ﷺ مشتمل على ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل والزبور:

قال ﷺ: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصَّل». [صحيح الجامع: ١٠٥٩].

ومنها: أنه يدخل من أمته الجنة سبعون ألفًا بغير حساب

ولم يثبت ذلك لغيره ﷺ، قال ﷺ: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي». [صحيح الجامع: ٧١١١].

ومنها: أن أمته ﷺ أقل عملاً ممن قبلهم، وأكثر منهم أجرًا

قال ﷺ: «مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قومًا يعملون له عملاً إلى الليل؛

فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا لك، فقال لهم: لا تفعلوا، أكملوا بقية عملكم، وخذوا أجركم كاملاً، فأبوا وتركوه، فاستأجر أجراء بعدهم، فقال: اعملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر، فعملوا، حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا، ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه، فقال: أكملوا بقية عملكم، فإنما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما، فذلك مثلهم، ومثل ما قبلوا من هذا النور». [البخاري ٥٥٨].

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٤٦): «والمراد من هذا التشبيه بالعمال تفاوت أجورهم، وأنَّ ذلك ليس منوطًا بكثرة العمل وقلته ؛ بل بأمور أخرى معتبرة عند الله تعالى، وكم من عمل قليل أجدى ما لا يجديه العمل الكثير، هذه ليلة القدر العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر في سواها، فهذه الأمة إنما شرفت وتضاعف ثوابها ببركة سيادة نبيها وشرفه وعظمته، كما قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

ومنها: أن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين

فأمهل عصاة أمته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم، قال الله تعالى: « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ » [الأنفال: ٣٣].

فَأَمَّنَ أعداءه من العذاب مدة حياته - عليه السلام - فيهم، فلم يُعذِّبهم مع استعجالهم إياه تحقيقًا لما نعته به، فلما ذهب عنهم إلى ربه تعالى أنزل الله بهم ما عذبهم به من قتل وأسر، وذلك قوله تعالى: « فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ » [الزخرف: ٤١].

بخلاف من تقدمه من الأنبياء، فإنهم لما كُذِّبوا عوجل مكذِّبهم، كما وقع لقوم نوح وغيرهم، قال تعالى: « فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ » [الأعراف: ٦٤].

وقال في هود وقومه عاد: « فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ » [الأعراف: ٧٢].

وقال في ثمود قوم صالح: «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» [الأعراف: ٧٨، ٧٩].

ومنها: أنَّ الله تعالى نزَّل أمته منزل العدول من الحكام، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء

قال ﷺ: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك، فيقال له: هل بلغت قومك ؟ فيقول: نعم، فيُدْعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم هذا ؟ فيقولون: لا، فيقال له: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد وأمته، فَيُدْعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم بذلك ؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فذلك قوله: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » [البقرة: ١٤٣].

ومنها أن الكتاب المنزل عليه ﷺ محفوظ في التحريف والزيادة والنقصان

قال الله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » [الحجر: ٩].

وأما غيره من الكتب فلم يثبت لها هذا.

قال تعالى: « أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » [البقرة: ٧٥].

ومنها أنه ﷺ كمال الأنبياء

قال ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». [البخاري: (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦)].

ومنها أنه ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا

قال ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة». [صحيح الجامع: ١٤٥٠].

وقال ﷺ: «آتي باب الجنة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت ؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك». [مسلم: ١٩٧].

فبعثته ﷺ رحمة للعالمين، فتح الله به أعينًا عُميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غُلفًا، وهدى به بعد ضلالة، قال الله تعالى: « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » [الأنبياء: ١٠٧].

وقال ﷺ: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة». [مسلم: ٢٣٥٥].

وهذا يدل على أنه ما أرسل هذا النبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – إلا رحمة لهم ؛ لأنه ﷺ جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبعْ فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرَّحمة العظمى، وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً ؛ قال: لو فجرُ الله عينًا للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل، فضيعوا نصيبهم من تلك العين ؛ فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين، ولكن الكسلان محنة على نفسه ؛ حيث حرمها ما ينفعها، ويوضح ذلك قوله تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ » [إبراهيم: ٢٨].

ومن رحمته ﷺ لما قيل له: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال ﷺ: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بُعثتُ رحمةً». [مسلم: ١٨٢٢].

فرسول هذه بعض خصائصه يشاق ؟

فمن شاقه بعد ذلك فيستنتقم الله منه في الدنيا والآخرة.

ومن أمثلة عقوبة الدنيا: ما رواه أنس رضي الله عنه قال: كان رجلٌ نصرانيًا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له، فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح ولقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه نَبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه، فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه.

[البخاري: ٣٦١٧].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلِّي عند البيت يومًا، وأبو جهل ونفرٌ من أصحابه جلوسٌ، إذ قال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلانٍ – لجمل ذبح بالأمس – فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد، فانبعث أشقاهم، حتى أتى بسلا الجزور، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك. قال ابن مسعود: فلو كانت لي منعةٌ لوضعته عن ظهر رسول الله ﷺ، فلم يرفع رسول الله ﷺ رأسه من السجود حتى أتى إنسان فاطمة رضي الله عنها فاخبرها، فأقبلت، فطرحت الأذى عن ظهر رسول الله ﷺ، ثم أقبلت إليهم تسبهم، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، فقال: «اللهم عليك بقريشٍ، اللهم عليك بقريشٍ، اللهم عليك بقريشٍ». فلما سمعوا دعاءه غاب عنهم الضحك وخافوا من دعوته، ثم سمى بعض النفر فقال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط». قال ابن مسعود: فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم يوم بدرٍ صرعى، ثم سحبوا فألقوا في القليب – قليب بدر. [متفق عليه].

وأما في الآخرة: فقد قال الله تعالى: « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا» [الأحزاب: ٥٧].

عن فضالة بن عبيد – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم من آمن بك، وشهد أني رسولك، فحبب إليه لقاءك، وسهل عليك قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومن لم يؤمن بك، ولم يشهد أني رسولك، فلا تُحبب إليه لقاءك، ولا تسهل عليه قضاءك، وأكثر له من الدنيا».

[صحيح الترغيب: ٣٤٨٨، وصحيح الجامع: ١٣١١].

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قال: رضيتُ بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبياً: وجبت له الجنة».

[صحيح الجامع: ٦٤٢٨].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



من نور كتاب الله

قال الله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [العنكبوت: ٤١، ٤٢].

من هدي رسول الله ﷺ

أذكار تمنع دخول الشيطان البيت

عن جابر رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء» [رواه مسلم].

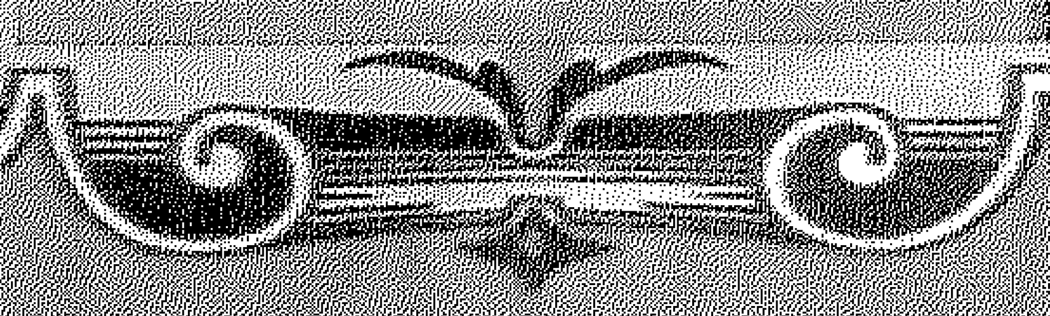
هيبة العلماء

قال محمد بن مسلم: «كنا نهاب أن نرد على أحمد بن حنبل في الشيء أو نحاجه في شيء من الأشياء». يعني لجلالته ولهيبة العلم الذي رزقه. [الآداب الشرعية].

من فضائل الصحابة، رضي الله عنهم

الاقتداء بهم وقبول أخبارهم

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر، وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه». [صحيح الجامع: ١١٤٣].



حكم ومواعظ

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: حُسن الخلق هو: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى وأن تحتمل ما يكون من الناس.

عن صالح بن عبد الكريم، قال: مثل القلب مثل الإناء إذا ملأته ثم زدت فيه شيئاً فاض، وكذلك القلب إذا امتلأ من حب الدنيا لم تدخله المواعظ.

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه، فقال عمر: «إنك تلقى الله ومظلمتك كما هي خير لك أن تلقاه وقد اقتصصتها».

من نصائح السلف

عن سعيد بن المسيب: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ قال: أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك - ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه، ومن كتم سره كان الخيرة في يده. [شعب الإيمان].



من مكائد الشيطان

إن الشيطان يُجْلِبُ على القارئ بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود بالقرآن وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراده الله سبحانه وتعالى فيحرص بجهده على أن يحول بين قلبه وبين مقصود القرآن فلا يكمل انتفاع القارئ به فأمر (أي القارئ للقرآن) عند الشروع أن يستعيذ بالله عز وجل منه. [إغاثة اللهفان، لابن القيم]

من دعائه ﷺ

عن أبي اليسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهرم والتردي والهدم والغم والحريق والغرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأن أقتل في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا». [رواه النسائي]

نصائح للبائعين

عن ذي النون قال: ثلاثة من أعلام الخير في التاجر، ترك الذم إذا اشترى، والمدح إذا باع، خوفاً من الكذب، وبذل النصيحة للمسلمين، حذراً من الخيانة، والوفاء في الوزن إشفاقاً من التطفيف. [العفة]

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

قال الإمام أبو الوليد سليمان الباجي شارح كتاب «الموطأ»، والمتوفى سنة ٤٩٤ هـ. وقد سئل عن بدعة المولد فقال رحمه الله: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب و لا سنة، و لا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون.. إلى أن قال: وهذا لم يأذن فيه الشرع ولا فعله الصحابة، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون فيما علمت.

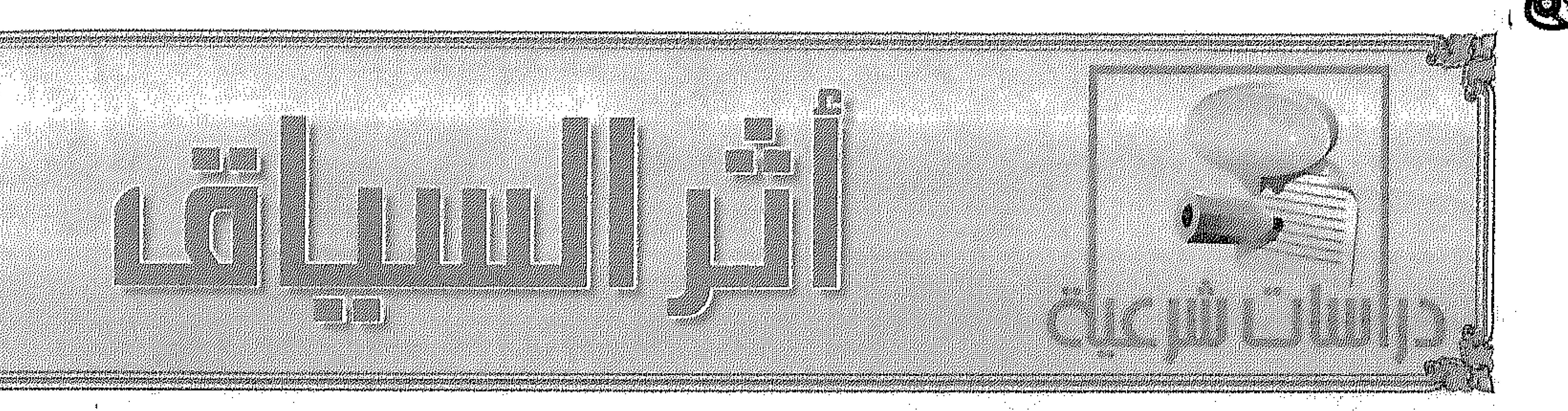
من الطب النبوي

عن أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم والكماة من المن وماؤها شفاء للعين». [رواه الترمذي]

قال ابن القيم: إن هذا في عجوة المدينة، وهي أحد أصناف التمر بها. والكماة: هو نبات يكثر بأرض العرب ويسمونها نبات الرعد، والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار.

من فقه الدعوة

عن كثير بن مرة قال: لا تتحدث بالباطل للحكماء فيمقتوك، ولا تتحدث بالحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقا كما أن عليك في مالك حقا. [رواه الدارمي]



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ذكرنا في الحلقة السابقة أن القرائن غير اللفظية (الحالية)، وهي ما يسمى بسياق الحال أو المقام، وهي جميع ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات، تشمل حال المتكلم والمستمع والغرض من الكلام، وأسباب النزول وأسباب الورود.

وبيّنا مدى أهمية هذه القرائن في فهم النص، وأنها تنقسم إلى قسمين: قرائن حالية متصلة بالخطاب (وضربنا أمثلة لها)، وقرائن حالية منفصلة عن الخطاب (وهي القرائن التي لا تكون في النص ذاته وإنما في نصوص أخرى وتساهم في فهم النص محل الدراسة)، ومن عناصر القرائن المنفصلة.

أولاً: أسباب النزول

ذكرنا فيها قاعدة هامة تتعلق بها، وهي: أن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وليس معنى ذكر أسباب النزول أن معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها، بل هي مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، وصورة السبب (سبب النزول) قطعية الدخول في النص.

ومن أدلة هذه القاعدة أن الرجل الذي قَبَّل الأجنبية، وذهب إلى النبي ﷺ، معترفًا بإثمه معلنًا توبته، ونزل فيه قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ» [هود: ١١٤].

فقال الرجل للنبي ﷺ: أَلِيَ هذا؟ فقال النبي ﷺ: «لجميع أمتي كلهم». (متفق عليه).

فمعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية.

وسبب النزول يعرف من حديث النبي ﷺ، أو عن الصحابي، فإن إخبار الصحابي عن سبب نزول الآية له حكم الرفع.

يقول ابن الصلاح في كتابه «علوم الحديث»: ...ما قيل إن تفسير الصحابي حديث مسند، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول الآية، يخبر به الصحابي أو نحو ذلك، كقول جابر رضي الله عنه: كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: « نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ » الآية، فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ فمعدود في الموقوفات، والله أعلم.

أمثلة على أسباب النزول:

المثال الأول

قوله تعالى: « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ » [البقرة: ١٥٨].

فأشكل معنى الآية على بعض الصحابة كعروة رضي الله عنه (كما بالبخاري) فسأل خالته عائشة رضي الله عنها: أرأيت قول الله تعالى: « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ

في فهم النص

الحلقة الثالثة

إعداد/ متولي البراجيلي

حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا »، فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة، فقالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه الآية لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه ألا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها بالمشلل فكان من أهلَّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالى: « إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ » الآية. قالت عائشة رضي الله عنها: وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما...

- فكما ترى من ظاهر الآية « فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ » أي: يرفع عنه الإثم، أي: الجواز، فرفع الإثم لا يدل على الفرضية، وهذا هو الذي فهمه عروة حتى بينت له أم المؤمنين عائشة سبب النزول الذي جلَّى معنى الآية.

المثال الثاني

في قوله تعالى: « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » [البقرة: ١٨٩].

فالآية يتضح معناها تمامًا بمعرفة سبب نزولها، كما بحديث البراء رضي الله عنه يقول: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجُّوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عُيِّر بذلك فنزلت: « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا » (متفق عليه).

لكن معنى الآية لا ينحصر في سبب نزولها فقط، وإنما تشمل كل من يتعبد عبادة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله فهو آتٍ للبيوت من غير مداخلها، وتلك هي البدع، وما شرعه الله ورسوله هو الطريق الصائب والمدخل السليم الذي يدلف منه.

«ويستفاد من إشارة الآية إلى أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلاً، فالآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حال المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده.

وهكذا، كل من حاول أمرًا من الأمور وأتاه من أبوابه، وثابر عليه، فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود». (تفسير السعدي).

المثال الثالث

في قوله تعالى: « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ..» [النساء: ٣].

فالآية يتضح معناها بمعرفة سبب نزولها، كما (بالبخاري) عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق (نخل)، وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه: « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى » - أحسبه (هو شك من هشام بن يوسف أحد رواة الحديث كما بالفتح) قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله.

وقد جلَّت هذا المعنى أم المؤمنين عائشة لابن

أختها عروة بن الزبير، عندما سألها عن الآية كما بالبخاري)، فقالت: يا ابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنّتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن...

(فوائد في الآية: قال الله تعالى: « فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ »، ولم يقل: «من طاب لكم»، كما هو المتبادر في استعمال «مَنْ» للعاقل، و«ما» لغير العاقل ؛ لأن «ما» تأتي لصفات من يعقل، وقد وصفهن بالطيب، فصح استعمال «ما»، وهذا يسمّى في البلاغة بالتغليب.

- في قوله تعالى: « مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ »، هذه صفات معدولة عن أعداد مكررة، ولذلك منعت من الصرف، أي: اثنتين اثنتين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا.

والذين لا يعرفون أسرار اللغة العربية قالوا بجواز التزوج بتسع لأنهم جمعوا اثنتين وثلاثًا وأربعًا جملتها تسع، ولأن النبي ﷺ مات عن تسع، وهذا من جهلهم، لأنك إذا قلت: جاء القوم مثنى وثلاث ورباع، لا تقصد أن من جاء تسعة، بل معناه أنهم جاءوا اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، فتنتصب ذلك على الحال، فأنت تريد أن تبين كيف مجيئهم ولا تقصد الجمع.

أما جمع النبي ﷺ لأكثر من أربع، فهذا من خصائصه ﷺ كما قال الشافعي: وقد دلت سنة رسول الله ﷺ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة، وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء). (تفسير القرآن الكريم لابن كثير، وإعراب القرآن الكريم للدويش بتصرف يسير).

المثال الرابع

في قوله تعالى: « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا » [الإسراء: ٥٧].

أسباب النزول توضح لنا من: « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ »، كما في صحيح مسلم عن عبد الله، قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ».

ولمسلم من طريق أخرى فيه:...فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت.

- وإن كان في أسباب النزول أنها خاصة بمن يعبد الجن، فإن معناها لا ينحصر في هذا فقط، بل إنها عامة تشمل كل من يعبد نبيًا، أو ملكًا أو صالحًا من دون الله تعالى، فهؤلاء المعبودون يتقربون إلى الله بطاعته ويخافونه ويرجونه، وهم بريئون ممن يعبدونهم من دون الله تعالى.

المثال الخامس

قوله تعالى: « وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ » [النور: ٣٢].

قد نفهم من الآية - بمفهوم المخالفة - أنه يجوز إكراه الإماء على البغاء إن لم يردن تحصنًا، وإنما المنع لمن تريد الإحصان فقط - وهذا ليس بصحيح.

ففي أسباب النزول (كما في مسلم) عن جابر رضي الله عنه، أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها مسيكة، وأخرى يقال لها أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله الآية.

والقيد في الآية وهو قوله تعالى: « إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ». خرج مخرج الغالب، وذلك لأن إرادة التحصن هي غالب أحوال الإماء المؤمنات إذ كنّ يحببن التعفف، كما في قصة جاريتي ابن سلول، ولأنه لا يتصور إكراهها إلا إذا أبت وأرادت التحصن، أما إذا لم ترد تحصنًا فإنها تكون بغيًا، يجب على سيدها أن يمنعها.

المثال السادس

في قوله تعالى: « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » [لقمان: ١٣].

في سبب نزولها - كما بالبخاري بسنده - عن عبد الله قال: لما نزلت: « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ »، قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم نفسه ؟ فأنزل الله عز وجل: « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ». إذ فهم الصحابة أولاً كل أنواع الظلم - لأن النكرة في سياق النفي تفيد العموم - فبيَّن الله تعالى أن المقصود في الآية هو الشرك.

المثال السابع

في قوله تعالى: « قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » [الشورى: ٢٣].

قد يفهم من ظاهر الآية أن النبي ﷺ يطلب المودة في آل بيته - كما فهمها بعضهم - وليس هذا هو المراد، وسبب النزول يجلّي لنا معناها الصحيح، كما في «مسند أحمد» بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله عن معنى قوله عز وجل: « قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى »، فقال سعيد بن جبير: قربى محمد ﷺ، قال ابن عباس: عجلت، إن رسول الله ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا لرسول ﷺ فيهم قرابة، فنزلت: « قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ».. إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم. (والحديث أصله في البخاري).

المثال الثامن

قوله تعالى: « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ » [الدخان: ١٠].

هل هذا الدخان يكون يوم القيامة، أم ماذا، سبب النزول يبين أنه كان في أيام النبي ﷺ، كما «بالبخاري» بسنده عن عبد الله رضي الله عنه قال: إنما كان هذا لأن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ».

قال: فأُتِيَ رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها هلكت، قال: «لمضر ؟ إنك لجريء»، فاستسقى فسقوا فنزلت: « إِنَّكُمْ عَائِدُونَ »، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ » [الدخان: ١٦]. قال: يعني يوم بدر.

- فرأينا في هذه الأمثلة المضروبة أن أسباب النزول - وهي من القرائن المنفصلة عن الخطاب - تعينُ على فهم النص وتجلّي معناه، مع ملاحظة عدم حصر المعنى فيه فقط.

ثانيًا: أسباب ورود الحديث

وهو من القرائن الحالية المنفصلة التي تعين على توضيح دلالة النص وبيان معناه، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول

ورد في حديث النبي ﷺ: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه». (صحيح البخاري).

- لكن في رواية للحديث - ورد فيها سبب الورود - ظهر فيها المعنى المراد بالبكاء وأنه ليس البكاء على إطلاقه، بل البكاء المصحوب بالتسخط والاعتراض على أقدار الله تعالى.

ففي «البخاري» بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله، فقال: قد قضى ؟ فقالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

المثال الثاني

حديث النبي ﷺ (في صحيح مسلم): من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر

من عمل بها بعده، من غير أن ينقُصَ من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

– فبعض الناس قد فهم من هذا الحديث جواز الابتداع في الدين، وسمَّى ذلك بالبدعة الحسنة، مستدلاً بهذا الحديث، لكنَّ سبب وروده يبين لنا المعنى المقصود من الحديث.

ففي صحيح مسلم بسنده عن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النِّمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام فصلى ثم خطب، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً»، والآية التي في «الحشر»: « اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ » تصدّق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع برّه من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها بل عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سنة حسنة». الحديث.

– فسبب الورود بيّن معنى الحديث، وأن المقصود ليس هو ابتداع عمل في الدين ليس له أصل، وإنما هو المسارعة والمسابقة في أصل مشروع (وهو في الحديث الصدقة) قد يتباطأ الناس فيه أو يتغافلون عنه، فيكون له أجر تحقيق الأصل المشروع والبدء به.

المثال الثالث

حديث النبي ﷺ (في صحيح البخاري) بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان.

– فهل النهي في الحديث عن قتل المرأة على العموم، لقد ذهب بعض أهل العلم إلى ذلك، وأنه لا يجوز قتل المرأة في جميع الحالات، وأن حديث: «من بدل دينه فاقتلوه»، مخصص بالنهي عن قتل النساء.

لكن في سبب ورود الحديث ما يجلِّي معنى الحديث، ففي المسند لأحمد بسنده عن رباح بن الربيع رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، وخالد بن الوليد في المقدمة، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة، مما أصابت المقدمة، فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها، حتى كفّهم رسول الله ﷺ على ناقة له، فأخروا عن المرأة، فوقف رسول الله ﷺ، ثم قال: ها ما كانت هذه تقاتل؟ ثم نظر في وجوه القوم، فقال لأحدهم: الحق خالد بن الوليد، فلا يقتل ذرية ولا عسيفًا.

– بيّن سبب ورود الحديث أن النهي عن قتل المرأة، إنما هو إذا لم تشارك في الحرب، وأن النهي ليس على العموم، وأما حديث: «من بدل دينه فاقتلوه». (البخاري)، فهذا يشمل كل مرتد رجلاً كان أو امرأة.

ثالثًا: بيئة الخطاب

وهي من القرائن الحالية المنفصلة، وتشمل حال المخاطِبين والمخاطَبين وعاداتهم وأعرافهم في ما يعهدونه من معان للألفاظ عند سماعهم لها، ولقد راعى الشارع – جل وعلا – هذا الأمر حيث جاءت نصوص الكتاب والسنة حسب معانيها في العرف اللغوي المعهود عند العرب في زمن نزول النص... (الموافقات).

ويقول الشافعي: فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها. (الرسالة).

– وعلى هذا لا يجوز أن يؤخذ من اللفظ معنى إلا إذا كان ذلك المعنى مستعملاً عند العرب ومنضبطًا بقواعد اللسان العربي

ومواصفاته الدلالية عند نزول النصوص.

- وأما ما يطرأ من تغيير في الاستعمال اللغوي بمرور الزمن فلا عبرة به، لأن الفهم ينبغي أن يتم على أساس ما كان باعتبار أن الخطاب ورد عليه لا على أساس ما آل إليه الأمر.

- لذا فإنه ينبغي أن نتعلم اللغة العربية لأن فهم مراد الله تعالى ورسوله ﷺ متوقف على فهم لغة العرب ومعرفة علومها.

يقول الشافعي في «الرسالة»: لأنه لا يعلم من إيضاح مجمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها. (الرسالة: ٥٠).

قاعدة هامة في معاني الألفاظ في اللغة العربية

- اللفظ العربي له أقسام ينبغي الوقوف عليها، فهذه الأقسام هي:

١- الحقيقة اللغوية (الوضعية).
٢- الحقيقة الشرعية.
٣- الحقيقة العرفية.
٤- المجاز.

- فاللفظ العربي إذا بقي على أصل وضعه فهذه هي الحقيقة اللغوية (الوضعية) كلفظ «أسد» فإنه يطلق في أصل الوضع واللغة على الحيوان المفترس.

- ومثال الحقيقة الشرعية لفظ الصلاة والصيام والحج، فإنها تطلق ويراد بها تلك العبادات المعروفة، مع أن لهذه الألفاظ معاني أخرى في أصل وضعها اللغوي، فالصلاة: الدعاء، والصيام: الإمساك، والحج: القصد.

- ومثال الحقيقة العرفية، لفظ الدابة، فإنه يطلق ويراد به عرفًا ذوات الأربع من الحيوان، مع أن معناه الأصلي في اللغة يشمل كل ما يدب على الأرض.

يقول الله تعالى: « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » [هود: ٦].

- ومثال المجاز، وهو استعمال اللفظ في غير معناه اللغوي (الوضعي) لفظ «أسد»، عندما يطلق على الرجل الشجاع.

فخطاب الشارع وألفاظه تحمل على الحقيقة الشرعية، فإن تعذر حمله عليها فتحمل على الحقيقة العرفية، ثم الحقيقة اللغوية، ثم المجاز إن دلت عليه قرينة.

- والمهم هو وجوب الرجوع إلى بيان الشارع لهذه الأسماء (الألفاظ) وتفسيره لها.

يقول ابن تيمية: والاسم إذا بيَّن النبي ﷺ حد مسمَّاه لم يلزم أن يكون قد نقله عن اللغة أو زاد فيه، بل المقصود أنه عُرف مراده بتعريفه هو ﷺ كيف ما كان الأمر، فإن هذا هو المقصود.

وهذا كاسم الخمر (الذي ورد في حديث النبي ﷺ: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام.

(رواه مسلم).

فإنه قد بيّن أن كل مسكر خمر، فعرف المراد بالقرآن، وسواء كانت العرب قبل ذلك تطلق لفظ الخمر على كل مسكر أو تخص به عصير العنب لا يحتاج إلى ذلك، إذ المطلوب معرفة ما أراد الله ورسوله بهذا الاسم، وهذا قد عرف ببيان الرسول ﷺ. (الفتاوى ١٩/ ٢٣٦).

- فبيان الشارع لألفاظه وتفسيره لها مقدم على أي بيان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فالنبي ﷺ قد بيَّن المراد بهذه الألفاظ بيانًا لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك، فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله فإنه شاف كاف. (الفتاوى ٧/ ٢٨٧).

وقد بَيَّن شيخ الإسلام أن طريقة أهل البدع إنما هي تفسير ألفاظ الكتاب والسنة برأيهم وبما فهموه وتأولوه من اللغة، والإعراض عن بيان الله ورسوله ﷺ، فهم يعتمدون على العقل واللغة وكتب الأدب. (الفتاوى ٧/ ٢٨٧).

وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين.

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي

اتبعوا ولا تبتدعوا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد حرصت جماعة أنصار السنة المحمدية منذ نشأتها الأولى وعلى مدار تاريخها الطويل على دعوة الناس إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة وتحذير الناس من الشركيات والخرافات والبدع التي شوهت معالم الإسلام، والبدع مرض خطير يهدد كيان الأمة منذ قرون طويلة، وقد ذاقت الأمة بسببها الويلات والمحن، والمستقرئ لتاريخ المسلمين يجد أن أهل الأهواء والبدع كانوا - وما يزالون - من أكبر أسباب تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب، فأهل البدع من الخوارج كانوا أول من فارق جماعة المسلمين بمعتقداتهم الباطلة وأفهامهم الفاسدة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه للأسف إلى حمل السيف على أهل السنة من أجل ذلك كان السبيل الأمثل لجمع شمل الأمة، والعلاج الناجع لداء فرقتها هو ما وصفه النبي ﷺ حيث قال: «وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...».

وفي هذه السطور نحذر من بدعة أطلت برأسها على الأمة بعد القرون المفضلة، كانت سببًا وراء إحداث كثير من البدع العقائدية في صفوف الأمة، فنقول مستعينين بالله عز وجل:

أولاً: كمال الشريعة وكفايتها

يقول الله عز وجل ممتنًا على عباده: « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا » [المائدة: ٣]، فهذه الآية الكريمة تدل على تمام الشريعة وكمالها وكفايتها لكل ما يحتاجه العباد.

يقول ابن كثير في تفسيره: هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه، ولا خلاف، كما قال تعالى: « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً » [الأنعام: ١١٥٣]، أي: صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة» انتهى.

فلا يتصور أن يجيء إنسان ويخترع في الشريعة شيئًا؛ لأن الزيادة عليها تعد استدراكًا على الله تبارك وتعالى، وتوحي بأن الشريعة ناقصة، وهذا يخالف ما جاء به كتاب الله تبارك وتعالى، فلا يتصور إنسان يزيد على شرع الله ويكون غير مذموم.

وعن طارق بن شهاب قال: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: وأي آية؟ قالوا: « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا »، قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ فيه، والساعة التي نزلت فيها: نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة، في

وأثرها على فساد المعتقد

إعداد/ معاوية محمد هيكل

يوم الجمعة». رواه البخاري.

وأخرج الطبراني في «معجمه الكبير» (١٦٤٧) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء ؛ إلا وهو يذكر لنا منه علماً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ما بقي شيء يُقرِّبُ من الجنة ويباعد من النار ؛ إلا وقد بُيِّن لكم».

فهذا الحديث النبوي الشريف فيه التصريح الجلي الواضح بأن كل ما يقرب إلى الجنة ويباعد من النار قد بينه لنا رسول الله ﷺ.

فأي إحداث أو ابتداع أو تقليد لأحد إنما هو استدراك على الشريعة، وجرأة شنيعة ينادي بها صاحبها أن الشريعة لم تكتمل، فاحتاجت إلى إحداثه وابتداعه.

وهذا ما فهمه تماماً أصحاب النبي ﷺ ؛ كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا ؛ فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة».

«فإذا كان ذلك كذلك ؛ فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها ؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجهٍ لم يبتَدع، ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضالٌ عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ؛ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول: « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ »، فما لم يكن يومئذٍ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً». (الاعتصام للشاطبي).

«فطرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص ؛ فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، بتركيبه الأدوية من عند نفسه، ربما صار دواؤه داءً، وعبادته معصية، وهو لا يشعر ؛ لأن الدين قد كمل تمام الكمال، فمن زاد شيئًا فيه ؛ فقد ظن الدين ناقصاً، وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد». (مفتاح الجنة للمعصومي ص٥٨).

وقال الشوكاني في «القول المفيد» (ص٣٨) مناقشاً بعض المبتدعين في شيء من آرائهم: «فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ ؛ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟! إن كان من الدين في اعتقادهم فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن، وإن لم يكن من الدين ؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين ؟! وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه أبداً، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي وترغم به آنافهم وتدحض به حججهم».

ثانياً: الغلو في النبي ﷺ وأثره في فساد المعتقد

نهى النبي ﷺ عن الغلو في شخصه ﷺ فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله». أي لا تغلوا في مدحي وتعظيمي كما غلت النصارى في مديح المسيح وتعظيمه فقد كان الإطراء هو بداية الغلو في عيسى، والادعاء أنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه.

ولذلك كانت الحيطة التي لم ينتفع بها البعض كصاحب البردة «البوصيري» حين قال:

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي وإفضاله، وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، ومن عجيب الأمر أن الشيطان زين لهم أعمالهم وأظهر لهم ما يصنعون في صورة

محبة النبي ﷺ وتعظيمه.

ثم قال مبالغًا في غلوه:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم

فتأمل ما في هذا البيت من الشرك:

١- أنه نفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث إلا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا هو، قال الشاعر:

لذ بالإله ولا تلذ بسواه
من لاذ بالملك الجليل كفاه

٢- أنه دعا النبي وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأله هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.

ثم انظر وتدبر وتحسر على أحوال المسلمين وكيف انصرفوا عن رب العالمين وراحوا يتوسلون بالنبي ﷺ توسلاً شركيًا ويطلبون منه بعد موته كشف الضر عنهم، ويبثون إليه شكواهم، وينشدون في ذلك الأشعار كحال هذا الذي يخاطب الرسول ﷺ قائلاً:

يا صاحب القبر المنير بيثرب
يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من به في النائبات توسلي
وإليه في كل الحوادث مهربي
يا من يجود على الوجود بأنعم
خضر تعم عموم صوب الصيب
يا غوث من في الخافقين وغيثهم
وربيعهم في كل عام مجدب
يا من نناديه فيسمعنا على
بعد المسافة سمع أقرب أقرب

ويقول أيضًا:

مولاي مولاي فرج كل معضلة
عني فقد أثقلت ظهري الخطيات
واعطف عليَّ وخذ يا سيدي بيدي
إذا دهتني الملمات المهمات

(شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية للشاعر عبد الرحمن البرعي ص٨٨).

وهكذا كان الغلو سببًا في نشر العقائد الهدامة في صفوف الأمة بدعوى محبة النبي ﷺ التي استغلها الصوفية أسوأ استغلال في إظهار كثير من البدع مثل الحضرات والموالد والتوسل البدعي والشركي وصيغ الصلوات المبتدعة حتى أفسدوا على الناس عقائدهم ولبسوا عليهم دينهم.

ثالثاً: الاحتفال بالمولد النبوي... النشأة والأسباب

من الأعياد التي أُحدثت في الإسلام بعد القرون الثلاثة المفضلة عيد المولد النبوي؛ أحدثه الشيعة الفاطميّون العبيديون، ولا يزال المبتدعة - خاصة الصوفية منهم - يحتفلون به، وبعضهم يغالي في الاحتفال به، حتى جعله أفضل من العيدين الشرعيين العظيمين «الفطر، والأضحى».

ومن العجيب أن بعض الأقليات المسلمة في بعض الدول يبالغون في الاحتفال بعيد المولد ويجعلونه أفخم أعياد المسلمين، كما يفعل مسلمو اليابان؛ حيث يقيمون احتفالاته ومباهجه في أفخم فنادق طوكيو.

وكان إحداث هذا العيد - الذي أصبح فتنة للمسلمين فيما بعد - في المائة الرابعة - أي بعد القرون الثلاثة المفضلة - على يد الحاكم العبيدي الملقب بـ «المعز لدين الله» الذي حكم مصر، وبنيت القاهرة المعزية له، وسبب إحداثه لهذا العيد أنه لما انتزع مصر من الخلافة العباسية إبان ضعفها فكر في وسيلة يستميل بها القلوب، ويمتلك النفوس، ويستثير العواطف حتى يألف أهل مصر هذه الحكومة الجديدة، ويرضوا عن سياستها في إدارة البلاد، ولما كان أقرب الأسباب للوصول إلى رضا العامة واستمالة قلوبهم عمل شيء يدل على الولاء للنبي ﷺ وآل بيته، فإن هذا الحاكم استغل هذا الأمر، فأحدث جملة من الأعياد كان أولها المولد النبوي، ثم توسع هو ومن بعده في الموالد حتى كان منها: مولد علي، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة، رضي الله عنهم وأرضاهم؛ إضافة إلى مولد خليفتهم الحاضر، وقد جعل هذا العبيدي مراسم وشعائر للاحتفال بالمولد النبوي من توزيع للأموال، والهدايا والصدقات، وإقامة الزينات، والمآدب والولائم، وتلاوة القرآن في المساجد الجامعة،

وأنواع الذكر والتسابيح والصلاة على النبي ﷺ وتسيير المواكب العظيمة والجند الكثيرة بأعلامهم وأبواقهم وطبولهم، وعمل فيه ما لا يعمل في العيدين الشرعيين، فاستولى هذا الضجيج وتلك الشعائر على قلوب العامة ففتنتهم، ووافقت هذه المراسم والشعائر حاجة في الناس ومجاعة فاستفادوا مما يوزع وما يقام من مأدبات في تلك الموالد والاحتفالات، فوافقوا على هذه البدعة التي دخلت على المسلمين.

واستمرت هذه البدعة لا تُعرف إلا في العبيديين، حتى انتقلت إلى الدولة الأيوبية في القرن السادس الهجري؛ حيث كان يحتفل به الملك مظفر الدين صاحب (إربل)، ويبالغ في ذلك مبالغة عظيمة، كما ذكر عدد من المؤرخين كسبط ابن الجوزي، وابن خلكان، الذي ذكر وصفًا لاحتفالاته، ثم قال: فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به، ثم ذكر أن أهل البلاد كانوا سمعوا بحسن اعتقاده فيه - أي في المولد - فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل مثل: بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي.. خلقٌ كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ثم ذكر أعمالاً وشعائر كثيرة تقام في ذلك الاحتفال العظيم. [انظر الإبداع في مضار الابتداع، تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي: لحسن السندوبي٣].

فمما سبق يتضح ما يلي

أ- أن بدعة المولد النبوي حدثت بعد القرون الثلاثة المفضلة.

ب- أن أول من أحدثها الحاكم العبيدي الملقب بالمعز لدين الله في القرن الرابع الهجري، ومعلوم ما يكنه العبيديون لأهل الإسلام من كراهية وحقد، وما يبطنونه من عقائد فاسدة يسترونها بإظهار محبة آل البيت والولاء لهم.

جـ- أن دوافع إحداث هذه البدعة سياسية؛ إذ أراد بها المعز العبيدي أن يكسب ود أهل مصر، وأن يضع لحكومته الباطنية وتصرفاتها الشاذة قبولاً عند المسلمين بهذا الاحتفال الذي حرك به عواطف العوام والرعاع بادعاء محبة النبي ﷺ.

د- أن هذه البدعة تسربت إلى الملك المظفر صاحب (إربل) في القرن السادس الهجري عن طريق أحد كبار الصوفية، والذي يظهر أنه أخذها عن العبيديين. [الأعياد وموقف المسلم منها: لإبراهيم الحقيل٣].

رابعًا: احتفالات وضلالات معاصرة

ولقد كان لاحتفالات الروافض العبيدين وانحرافاتهم العقدية امتداد بلغ إلى عصرنا الحاضر، قال الأستاذ البنا - عفا الله عنه -: «وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام». (مذكرات الدعوة والداعية: ص٢٥-٢٦).

وقد وصف أخوه الأستاذ عبد الرحمن البنا - عفا الله عنه - هذه المواكب وذكر بعض القصائد، فقال: «فسار في الموكب - أي الأستاذ البنا - ينشد مدح الرسول ﷺ، وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي في كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر، ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ، وكان من قصائدنا المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

صلى الإله على النور الذي ظهرا
للعالمين ففاق الشمس والقمرا

كان هذا البيت الكريم تردده المجموعة، بينما ينشد أخي وأنشد معه:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا
وسامح الكل فيما قد مضى وجرى
لقد أدار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يذهب البصرا
يا سعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد
بلبلت أسماعنا يا مطرب الفقرا
وما لركب الحمى مالت معاطفه
لا شك أن حبيب القوم قد حضرا

(حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه (ص٧١، ٧٢).

وتأمل هذا النشيد تجده مفعمًا برائحة عقائد الصوفية الخربة.

أ- فقوله: «هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا» إشارة إلى ما ادعاه المتصوفة من أن

رسول الله ﷺ يحضر الحضرة إما بروحه وإما يقظة بجسده وروحه.

وانظر إليه يؤكد ذلك بقوله: «لا شك أن حبيب القوم قد حضرا».

ونحن نسأل هل هذا الكلام عليه دليل أو قال به أحد من السلف؟!

ب- وقوله: «وسامح الكل فيما قد مضى وجرى» إشارة إلى دعواهم أن النبي ﷺ غفر لهم ذنوبهم، وكفر عنهم سيئاتهم، وسامحهم في معاصيهم!! وهل يملك ذلك أحد إلا الله تعالى ؟! قال تعالى: « وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ »

[آل عمران: ١٣٥].

جـ- وقوله: «لقد أدار على العشاق خمرته...» إشارة لحالهم عند التواجد والغناء وهم يضربون الأرض بأقدامهم كالسكارى.

وقال الأستاذ محمود عبد الحليم: وكنا نذهب جميعًا كل ليلة إلى مسجد السيدة زينب فنؤدي صلاة العشاء، ثم نخرج من المسجد ونصطف صفوفًا، يتقدمنا الأستاذ المرشد ينشد نشيداً من أناشيد المولد النبوي، ونحن نردده من بعده في صوت جهوري يلفت النظر.

(الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ١ / ١٠٩).

وهكذا يُضَلَّلُ الناس ممن يظن فيهم أنهم للإسلام دعاة، وللدين حماة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

خامساً: بدعية الاحتفال بمولده ﷺ

وخلاصة القول: أن الاحتفال بذكرى المولد النبوي بدعة منكرة يجب على المسلمين منعها وذلك لما يلي:

١- الاحتفال بالمولد مخالف لأمر النبي ﷺ الذي دعانا إلى التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ونهانا عن الإحداث في الدين ما ليس منه.

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه.

٢- اتخاذه عيدًا شرعيًا، والأعياد الشرعية يومان: الفطر، والأضحى، كما جاء بذلك النص، قال ﷺ: «إن الله أبدلكم بهما يومي الفطر والأضحى».

٣- جعله عبادة شرعية وقربة إلى الله، حتى إنهم في بعض البلدان يتهمون من لم يحضر المولد بالجفاء والمروق من الدين أحيانًا.

٤- عدم فعل السلف له، مع أنهم أعرف الناس بحقوقه ﷺ، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. قال تعالى: « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

[آل عمران].

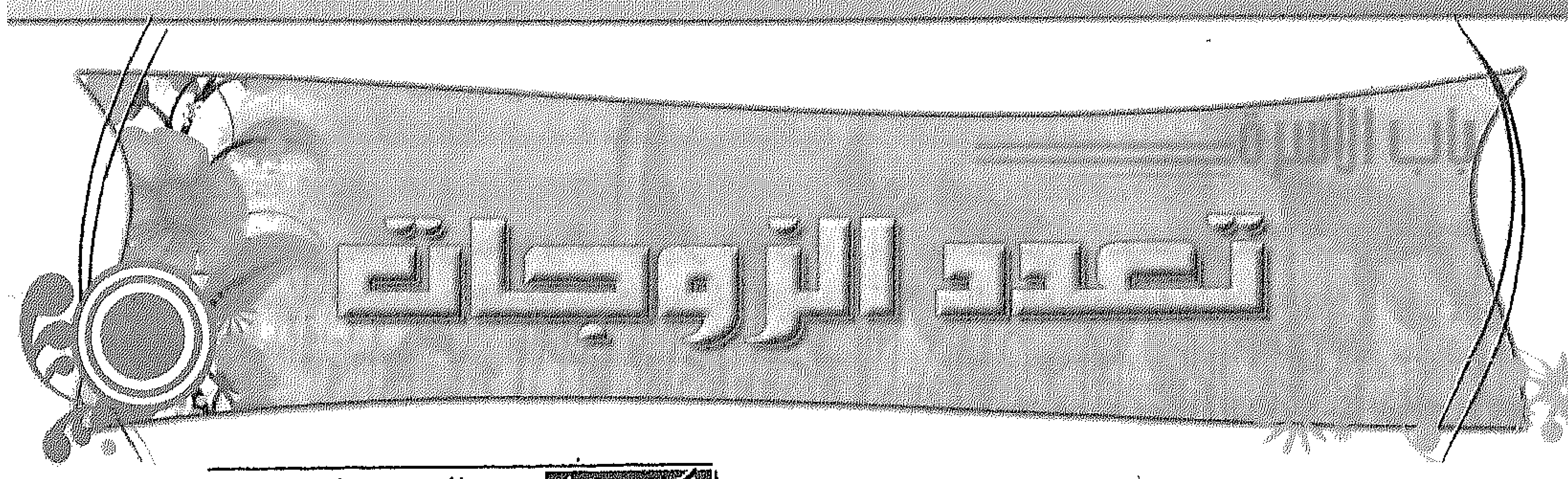
٥- ولم ينقل الاحتفال بهذه البدعة عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وبشهوة نفس اغتنى بها الأكالون.

٦- إن عمل المولد يتضمن أمورًا منهيًا عنها شرعًا كإنشاد القصائد الشركية والغلو فيه ﷺ وتشويه صورة الدين بأعمال الخرافيين والمشعوذين والدجالين على ما يجري عمله في أكثر البلاد.

٧- إن الاحتفال بالمولد فيه مشابهة للنصارى في احتفالهم بمولد المسيح عليه السلام لأن دينهم المحرف قام على الغلو في الأشخاص، وديننا ينهانا عن الغلو ويحذرنا التشبه بهم.

وقد استغلت الصوفية وسائل الدعاية للترويج لهذه البدعة بدعوى أنها من مظاهر محبة النبي ﷺ، فألفوا فيها الرسائل والكتب، ونعتوا كل ناقد ومحذر من هذه البدعة بعدم الحب والولاء للنبي ﷺ، وما كتبنا هذا إلا حبًا لنبينا ﷺ واتباعًا لسنته واقتفاءً لأثره ﷺ وتحذيرًا للأمة من البدع وخطرها على سلامة المعتقد، سائلين المولى عز وجل أن يحيينا على سنته، وأن يميتنا على ملته ويحشرنا في زمرته، أمين.

والحمد لله رب العالمين.



إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

ذكرنا في المقال السابق حديث بريرة مع زوجها مغيث، وأنهما كانا عبدين، فاشترت نفسها من وليها مكاتبةً، ثم فارقت زوجها لذلك مغاضبةً، وعرض عليها النبي ﷺ الرجوع إلى زوجها الذي كان يبكي فراقها، فأبت لما علمت أن النبي ﷺ يشفع فقط ولا يأمرها. والآن مع بيان الفوائد التي استخرجها العلماء من هذا الحديث الذي سنذكر به الآن قبل الشروع في البيان.

عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ورضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي بَرِيرَةُ، فَقَالَتْ: إِنِّي كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى بَيْعِ تِسْعِ أَوَاقٍ فِي كُلِّ عَامٍ أُوقِيَّةٌ، فَأَعِينِينِي، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنْ أَحَبَّ أَهْلُكِ أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَدْتُهَا لَهُمْ، وَيَكُونُ لِي وَلاؤُكِ، قَالَتْ: فَذَهَبَتْ بَرِيرَةُ إِلَى أَهْلِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ عَرَضْتُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَأَبَوْا إِلا أَنْ يَكُونَ الْوَلاءُ لَهُمْ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهَا، فَأَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذِيهَا، وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلاءَ، فَإِنَّمَا الْوَلاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ، وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ، وَإِنَّمَا الْوَلاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ. هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ.

فوائد من حديث بريرة

وفي حديث بريرة هذا من الفوائد الآتي: جواز كتابة الأمة كالعبد (يعني يكون بينها وبين سيدها عقد شراء نفسها منه بمال)، وهذا تصديق قول الله تعالى: « وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ». فإذا أرادت الأَمَة أن يكون بينها وبين سيدها كتابٌ تريد فيه شراء نفسها منه بمال ليعتقها جاز لها ذلك، شأنها في ذلك شأن الرجال العبيد، لها ذلك ولو كانت متزوجة، ولو لم يأذن الزوج، وليس له منعها من كتابتها ولو كانت الكتابة تؤدي إلى فراقها منه وفسخ عقد الزواج بينها وبينه. كما أنه ليس للعبد المتزوج منع السيد من عتق أمته زوجته التي تحته وإن أدى ذلك إلى بطلان نكاحها وفسخه كما تقدم، ويستنبط من تمكينها من السعي في مال الكتابة أنه ليس عليها خدمة زوجها في ذلك الوقت حتى تُتم اكتساب مال عتقها، وفيه جواز سعي المكاتبة، وسؤالها الناس أن يساعدوها في ذلك، واكتسابها وتمكين السيد لها من ذلك بعد معرفة حل كسبها وجهته، وعلى ذلك فالنهي الوارد عن كسب الأمة محمول على من لا يعرف وجه كسبها أو شك في حرمة كسبها، أو لم تكن مكاتبة،ومن الفوائد أن للمُكاتب أن يسأل الإعانة والمساعدة من حين الكتابة، ولا يشترط في ذلك عجزه خلافا لمن شرطه وفيه جواز السؤال للمحتاج بسبب دَيْن أو غُرْم أو نحو ذلك، وفيه أنه لا بأس بتعجيل مال الكتابة، وفيه جواز المساومة في البيع وتشديد صاحب السلعة فيها، وأن المرأة الرشيدة تتصرف لنفسها في البيع وغيره ولو كانت متزوجة خلافا لمن أبى ذلك، وأن من لا يتصرف بنفسه فله أن يقيم غيره مقامه في ذلك كما فعلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع بريرة، وفي الحديث أيضًا أن العبد إذا أذن السيد له في التجارة جاز تصرفه، وفيه جواز رفع الصوت عند إنكار المنكر، وأنه لا بأس لمن أراد أن يشتري من أجل العتق أن يظهر ذلك لأصحاب الرقبة ليتساهلوا له في الثمن، ولا يعد ذلك من الرياء، وفيه إنكار القول الذي لا يوافق الشرع

وانتهار الرسول الذي جاء بالخبر المنكر، وفيه أن الشيء إذا بيع بالنقد كانت الرغبة فيه أكثر مما لو بيع بالنسيئة (وهو التقسيط والتأخير)، وأن للمرء أن يُقضى عنه دينه برضاه، وفيه جواز الشراء والبيع بالنسيئة (التقسيط)، وأن المكاتَب (العبد أو الجارية) لو عجل بعض ثمن كتابته قبل حلول موعد الأداء على أن يضع عنه سيده الباقي لم يُجبَر السيد على ذلك، وجواز الكتابة على قدر قيمة العبد وأقل منها وأكثر، لأن بين الثمن المنجز والمؤجل فرقا ومع ذلك فقد بذلت عائشة المؤجل ناجزا فدل على أن قيمتها كانت بالتأجيل أكثر مما كوتبت به، وكان أهلها باعوها بذلك، ومن الفوائد أيضًا أن المراد بالخير في قوله تعالى:" إن علمتم فيهم خيرا" القوة على الكسب والوفاء بما وقعت الكتابة عليه، وليس المراد به المال، ويؤيد ذلك أن المال الذي في يد المكاتب لسيده فكيف يكاتبه بماله ؟.. وفي الحديث أيضا جواز كتابة من لا حرفة له وفاقا للجمهور؛ وذلك أن بريرة جاءت تستعين على كتابتها ولم تكن قضت منها شيئا، فلو كان لها مال أو حرفة لما احتاجت إلى الاستعانة، وقد ورد عند الطبري من طريق أبي الزبير عن عروة أن عائشة اشترت بريرة مكاتبةً وهي لم تقض من كتابتها شيئا، وفيه جواز أخذ الكتابة من مسألة الناس والرد على من كره ذلك وزعم أنه أوساخ الناس، وفيه مشروعية معونة المكاتبة بالصدقة، وفيه جواز الكتابة بقليل المال وكثيره، وجواز التقسيط على الشهور في الديون في كل شهر مثلاً، كذا من غير بيان أول الشهر أو وسطه، ولا يكون ذلك مجهولا لأنه يتبين بانقضاء الشهر حلول السداد. ويبقى احتمال أن يكون قول بريرة في كل عام أوقية أي في غرته مثلا.. وقد نهى النبي ﷺ عن السلف إلا إلى أجل معلوم، ومن الفوائد أن العد في الدراهم الصحاح المعلومة الوزن يكفي عن الوزن الكلي وأن المعاملة في ذلك الوقت كانت بالأواقي، والأوقية أربعون درهما.. وفيه جواز البيع على شرط العتق بخلاف البيع بشرط أن لا يبيعه لغيره ولا يهبه مثلا، وأن من الشروط في البيع ما لا يبطل ولا يضر البيع.. وفيه جواز مناجاة المرأة دون زوجها سرًا إذا كان المناجي ممن يؤمن، كما سأل النبي ﷺ بريرة أن تراجع زوجها مغيثًا فأبت.. وفيه قبول خبر المرأة ولو كانت أمة وكذلك العبد بطريق الأولى، وفيه أن عقد الكتابة قبل الأداء لا يستلزم العتق، وأن بيع الأمة ذات الزوج ليس بطلاق (وإنما هو فسخ وخلع)، وفيه البداءة في الخطبة بالحمد والثناء وقول أما بعد فيها والقيام فيها، وجواز تعدد الشروط لقوله مائة شرط، وأن الإيتاء الذي أمر به السيد ساقط عنه إذا باع مكاتبه للعتق كما في قول الله تعالى:"وآتوهم من مال الذي آتاكم " فالأمر في هذه الحالة للمسلمين أن يعينوا العبيد على الأداء والسداد، وفيه أن لا كراهة في السجع في الكلام إذا لم يكن عن قصد ولا متكلفا، وفيه أنه ﷺ كان يظهر الأمور المهمة من أمور الدين ويعلنها ويخطب بها على المنبر لإشاعتها، ويراعي مع ذلك قلوب أصحابه، لأنه لم يعين أصحاب بريرة بل قال: «ما بال رجال»، ولأنه يؤخذ من ذلك تقرير شرع عام للمذكورين وغيرهم في الصورة المذكورة وغيرها، وهذا بخلاف قصة علي في خطبته بنت أبي جهل فإنها كانت خاصة بفاطمة فلذلك عَيَّنَها، والقصة أن المسور بن مخرمة قال: إن على بن أبى طالب رضي الله عنه خطب ابنة أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت رسول الله ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل، قال المسور: فقام رسول الله ﷺ ، فسمعته حين تشهد ثم قال: «أما بعد؛ فإني أنكحت أبا العاص فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد بضعة مني وإني أكره أن يفتنوها، وإنه والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل واحد أبدًا»، فترك علي رضي الله عنه الخِطبة -

(رواه البخاري في الصحيح عن أبى اليمان ورواه مسلم).

وفي رواية: «إن فاطمة بضعة مني وأنا أتخوف أن تُفتن في دينها وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدًا»

(أحمد، والبخاري، ومسلم).

وفيه حكاية الوقائع لتعريف الأحكام وأن اكتساب المكاتب له لا لسيده، وجواز تصرف المرأة الرشيدة في مالها بغير إذن زوجها، ومراسلتها الأجانب من النساء في أمر البيع والشراء كذلك، كما أرسلت عائشة بريرة لتساوم سيدها، وجواز شراء السلعة للراغب في شرائها بأكثر من ثمن مثلها، لأن عائشة بذلت ما قُرر نسيئة على جهة النقد مع اختلاف القيمة بين النقد والنسيئة، وفيه جواز استدانة من لا مال له عند حاجته إليه. فتح الباري - ابن حجر - (ج ٥ / ص ١٩٢)

تعدد الزوجات وحدوده

قال البخاري رحمه الله: باب: لا يتزوج أكثر من أربع لقوله تعالى: « مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » [النساء: ٢].

وقال علي بن الحسين عليهما السلام: يعني مثنى أو ثلاث أو رباع. (صحيح البخاري).

صح أن غيلان بن سلمة أسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعًا وفارق سائرهن».

الظاهر من الآية التخيير بين الأعداد المذكورة بدليل قوله تعالى في الآية نفسها: « فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً »، ولأنه إذا قيل: جاء القوم مثنى وثلاث ورباع؛ أراد القائل بذلك أنهم جاؤوا اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، فالمراد تبيين حقيقة مجيئهم وأنهم لم يجيئوا جملة ولا فرادى، وعلى هذا فمعنى الآية: أنكحوا اثنتين اثنتين وثلاثًا وثلاثًا وأربعًا أربعًا، فالمراد جميع هذه الحالات لا المجموع، ولو أريد مجموع العدد المذكور لكان قوله مثلا تسعًا أرشق وأبلغ.. واحتجاجهم بأن الواو للجمع لا يفيد مع وجود القرينة الدالة على عدم الجمع، وهي قول علي بن الحسين رضي الله عنهما إن المعنى: مثنى أو ثلاث أو رباع، وأما احتجاجهم بكونه ﷺ جمع بين تسع نسوة فمردود بأمره ﷺ الذي أسلم وفي عصمته أكثر من أربع نسوة أن يفارق مَن زاد على الأربع، وقد وقع ذلك لغيلان بن سلمة وغيره كما عند الترمذي وابن ماجه، فدل على خصوصيته ﷺ بذلك، وقوله: « أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ » ظاهر في أن المراد به تنويع الأعداد لا أن لكل واحد من الملائكة مجموع العدد المذكور كما بسورة فاطر، وقول علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يعني مثنى أو ثلاث أو رباع أراد أن الواو بمعنى أو فهي للتنويع، والتقدير فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وانكحوا ما طاب من النساء ثلاث الخ، وهذا من أحسن الأدلة في الرد على الرافضة لكونه من تفسير زين العابدين وهو من أئمتهم الذين يرجعون إلى قولهم ويعتقدون عصمتهم.

وعن عائشة رضي الله عنها لما سألها عروة بن الزبير عن قول الله تعالى: « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ » قالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن سُنَّتهن أي: عادتهن في مهور أمثالهن من الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن فانزل الله عز وجل: «يَستفتُونَكَ في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن» قالت: والذي ذكر الله تعالى أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال الله فيها: «وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء» . قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى: «وترغبون أن تنكحوهن» رغبة أحدكم عن اليتيمة التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنُهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

التحريم بالرضاعة

٢١ - قال البخاري: باب « وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ » [النساء: ٢٣]، ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب

وفي رواية: «تُحَرِّم ما تحرم الولادة» أي: وتبيح ما تبيح، وهو بالإجماع فيما يتعلق بتحريم النكاح وتوابعه وانتشار الحرمة بين الرضيع وأولاد المرضعة وتنزيلهم منزلة الأقارب في جواز النظر والخلوة والمسافرة، ولكن لا يترتب عليه باقي أحكام الأمومة من التوارث ووجوب الإنفاق والعتق بالملك والشهادة والعقل وإسقاط القصاص.

[صحيح البخاري - ج ٥ / ص ١٩٦٠].

عن عمرة بنت عبد الرحمن: أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرتها أن رسول الله ﷺ كان عندها وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة قالت: فقلت: يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك، فقال النبي ﷺ : «أراه فلانًا». لعم حفصة من الرضاعة، قالت عائشة: لو كان فلان حيًا - لعم عائشة من الرضاعة - دخل عليَّ ؟ فقال: «نعم؛ الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة».

فَإِنَّهَا إِنَّمَا أَنْكَرَتْ أَنْ يَسْتَأْذِنَ عَمُّ حَفْصَةَ عَلَيْهَا لَمَّا اعْتَقَدَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ تِلْكَ الرُّتْبَةُ مِنْ الْعُمُومَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ بِهَا الدُّخُولَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ عَمٍّ كَانَ لَهَا فِي مِثْلِ دَرَجَته فَأَعْلَمَهَا النَّبِيُّ ﷺ أن لَوْ كَانَ حَيًّا لَدَخَلَ عَلَيْهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ السَّبَبِ.

وفي رواية:أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ أَفْلَحُ أَخُو أَبِي الْقُعَيْسِ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَقُلْتُ: لا آذَنُ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ فيه النَّبِيَّ ﷺ، فَإِنَّ أَخَاهُ أَبَا الْقُعَيْسِ لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي، وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي

امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَفْلَحَ أَخَا أَبِي الْقُعَيْسِ اسْتَأْذَنَ فَأَبَيْتُ أَنْ آذَنَ لَهُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَمَا مَنَعَكِ أَنْ تَأْذَنِي ؟ عَمُّكِ ! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ (أبا القعيس) لَيْسَ هُوَ أَرْضَعَنِي وَلَكِنْ أَرْضَعَتْنِي امْرَأَةُ أَبِي الْقُعَيْسِ ، فَقَالَ: ائْذَنِي لَهُ، فَإِنَّهُ عَمُّكِ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ. (مسلم).

فأخبرها النبي ﷺ أن لبن الفحل (الزوج) يُحَرِّم أخاه بقوله: « إنه عمك فاذني له ».

قال ابن التين: سئل الشيخ أبو الحسن عن قول عائشة: لو كان فلان حيًا ؛ أين هو من الحديث الآخر الذي فيه: فأبيت أن آذن له ؟ فالأول ذكرت أنه ميت والثاني ذكرت أنه حي، فقال: هما عمَّان من الرضاعة أحدهما رضع مع أبي بكر الصديق وهو الذي قالت فيه لو كان حيًا، والآخر أخو أبيها من الرضاعة. وقال القرطبي: هما سؤالان وقعا مرتين في زمنين عن رجلين، وتكرر منها ذلك إما لأنها نسيت القصة الأولى وإما لأنها جوزت تغير الحكم فأعادت السؤال. اهـ. والسؤال الأول كان قبل الوقوع والثاني بعد الوقوع.

قال العلماء: سبب اللبن هو ماء الرجل والمرأة جميعًا، فوجب أن يكون الرضاع منهما كما كان الولد لهما وإن اختلف سببهما، كما أن الجد لما كان سببًا في الولد تعلق تحريم ولد الولد به كتعلقه بولده، كذلك حكم الرجل والمرأة، وقد سُئل ابن عباس عن رجل له امرأتان، فأرضعت إحداهما غلامًا والأخرى جارية، فقال: لا يجوز للغلام أن يتزوج الجارية؛ لأن اللقاح واحد، أي الأمهات وإن افترقن فإن الأب واحد الذي هو سبب اللبن للمرأتين، فالغلام والجارية أخوان لأب من الرضاع.

وقد وقع في رواية عند أحمد من وجه آخر عن عائشة «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من خال أو عم أو أخ». قال القرطبي: في الحديث دلالة على أن الرضاع ينشر الحرمة بين الرضيع والمرضعة وزوجها، يعني الذي وقع الإرضاع بين ولده منها، فتحرم على الصبي لأنها تصير أمه وأمها لأنها جدته فصاعدًا، وأختها لأنها خالته وبنتها لأنها أخته وبنت بنتها فنازلا لأنها بنت أخته وبنت صاحب اللبن لأنها أخته وبنت بنته فنازلا لأنها بنت أخته وأمه فصاعدا لأنها جدته وأخته لأنها عمته ولا يتعدى التحريم إلى أحد من قرابة الرضيع فليست أخته من الرضاعة أختا لأخيه ولا بنتا لأبيه إذ لا رضاع بينهم والحكمة في ذلك أن سبب التحريم ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها وهو اللبن فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءا من أجزائهما فانتشر التحريم بينهم بخلاف قرابات الرضيع.

والسؤال: لو تزوج رجل أخته من الرضاع دون أن يعلم، وبعد بضع سنوات وبعد أن رُزق هذا الرجل منها أولادًا عرف أن زوجته هذه أخته في الرضاع.

فماذا يفعلان في هذه الحالة؟ وما حكم الأولاد بالنسبة للنسب وبالنسبة للتربية؟ وهل يرث الأولاد في هذه الحالة من أبيهم ومن أمهم ؟ وهل يثبت للوالدة حكم البر وكذلك للأب ؟ وماذا يثبت للوالدة هذه من الحقوق المالية على من كان زوجها (أخوها من الرضاع) في حالة الفسخ ؟

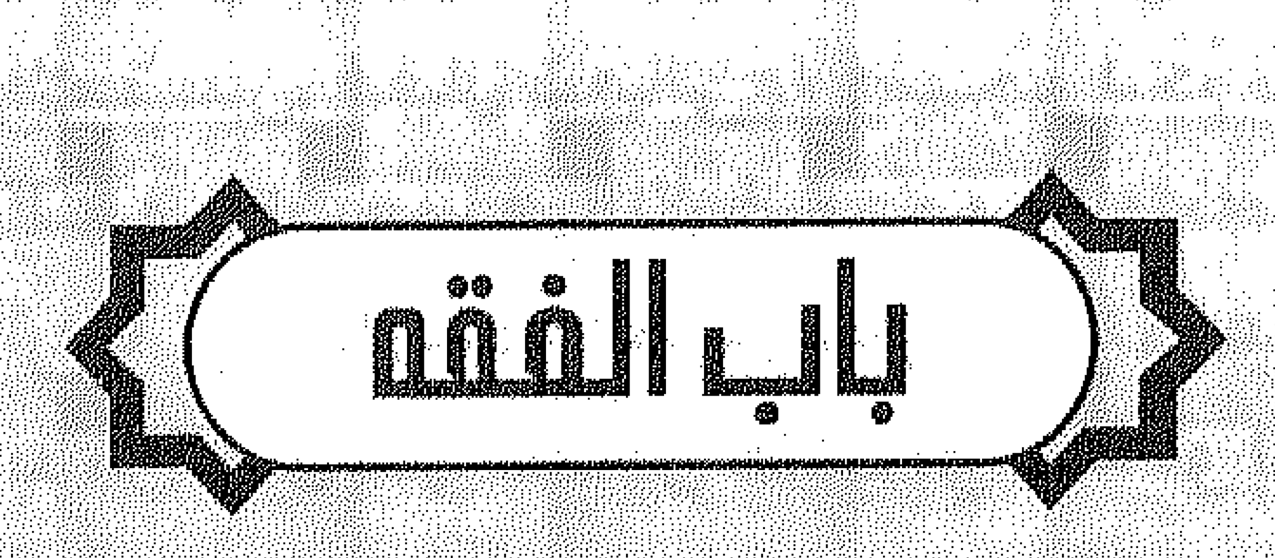
والجواب: عليهما أولاً التأكد من الرضاعة هل حصلت فعلاً أم لا، وهل هي خمس رضعات أم لا، وهل هي في الحولين أي: السنتين الأوليين من عمر الطفل أم لا، فإذا تأكد فيجب أن يتفرقا حالاً ما دام أن الرضاع لا شك فيه، ومحرِّم خمس رضعات فأكثر، وفي الحولين، فيجب التفريق بينهما حالاً، والأولاد أولادهما معاً ويرثون من أبيهم وأمهم، ونفقتهم على أبيهم، ويثبت لكل من الوالدين البر والصلة، ولا شبهة في الأبوة والأمومة، وإنما الواجب التفريق بين الرجل والمرأة، لأنه لا يصح أن تبقى زوجة له.

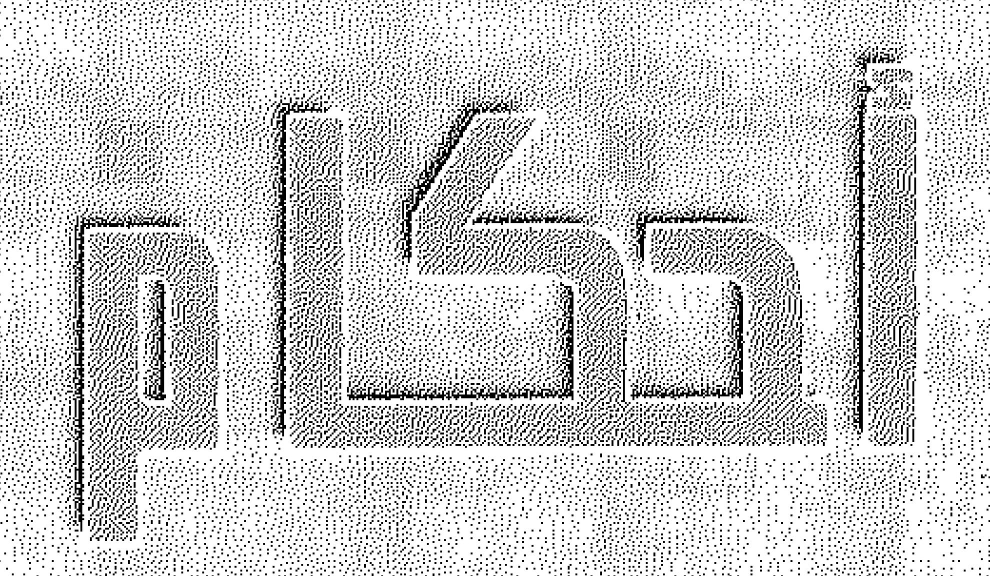
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل للنبي ﷺ ألا تتزوج ابنة حمزة ؟ قال: (إنها ابنة أخي من الرضاعة)، مع أن حمزة رضي الله عنه في الأصل عم رسول الله ﷺ لكنه مع ذلك أخوه من الرضاعة.

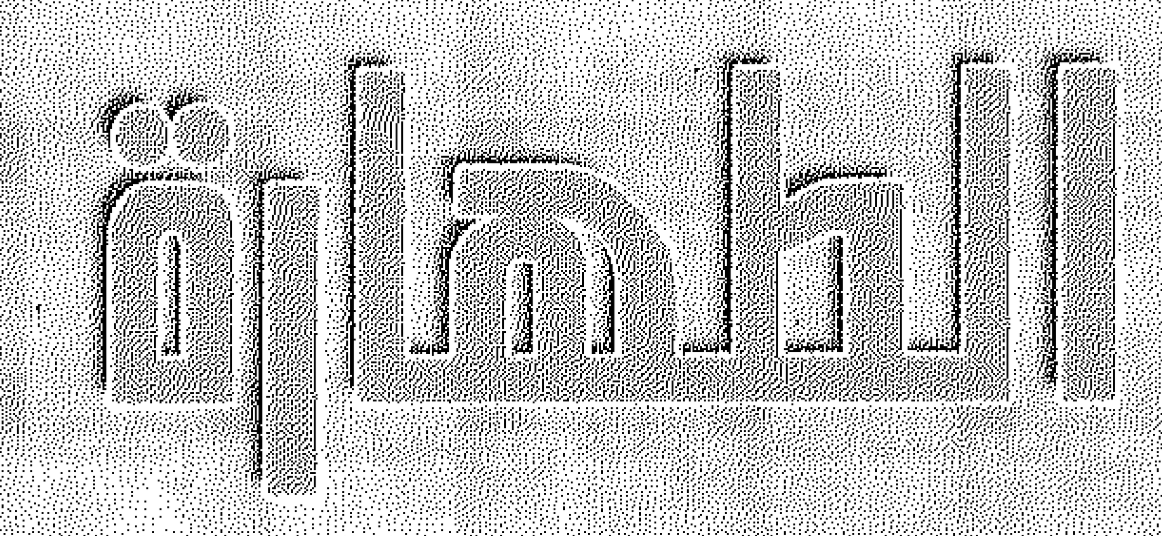
وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان أنها قالت: يارسول الله انكح أختي بنت أبي سفيان فقال: (أوتحبين ذلك؟). فقالت: نعم لست لك بمخلية وأحب من شاركني في الخير أختي فقال النبي ﷺ (إن ذلك لا يحل لي). قلت: فإنا نُحَدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة ؟ قال: (بنت أم سلمة)؟ قلت: نعم. فقال: (لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة فلا تَعْرِضْن عليَّ بناتكن ولا أخواتكن).

قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة، قال له: ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة. صحيح البخاري- (ج ٥ / ص ١٩٦١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







الحلقة الثانية

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد تناولنا في العدد السابق بعض الأمور المتعلقة بأحكام الطهارة، ونكمل حديثنا في هذا العدد في الكلام عن النجاسة وحكمها وأقسامها وكيفية التطهير منها.

أولاً: تعريف النجاسة

في اللغة: يقول ابن فارس: «نجس» النون والجيم والسين أصل صحيح يدل على خلاف الطهارة، وشيء نَجِس ونَجَس: قذر. والنَّجَس: القذر. (معجم مقاييس اللغة ٥ / ٣٩٣).

تقول: تنجس الشيْء صار نجسًا، والنجاسة: القذارة. (المعجم الوسيط : نجس).

شرعًا: مستقذر يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص. (حاشية القليوبي على المنهاج ١ / ٦٨) وعرفها البعض بأنها: صفة حكمية توجب لموصوفها منع استباحة الصلاة به أو فيه. (الشرح الكبير للدسوقي ١ / ٣٢) .

ثانيًا: حكم إزالة النجاسة

يجب إزالة النجاسة ؛ لقوله تعالى: « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » [المدثر: ٤]، ولحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين جديدين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «لا يستتر من بوله».

ثالثًا: أقسام النجاسة

جرى الفقهاء على تقسيم النجاسة إلى نجاسة حقيقية - أي عينية - ونجاسة حكمية، والعينية تعني الخبث وعرفوه بأنه: عين مستقذر شرعًا، والحكمية تعني الحدث وعرفوه بأنه:

وصف شرعي يحل في الأعضاء يزيل الطهارة. (حاشية ابن عابدين ١ / ٥٨).

أو هو: أمر اعتباري يقوم بالأعضاء يمنع من صحة الصلاة حيث لا مرخص. (الفقه الإسلامي وأدلته ١ / ٣٠١).

والحدث ينقسم إلى قسمين: الحدث الأكبر، والحدث الأصغر، أما الحدث الأكبر فهو الجنابة والحيض والنفاس وهو يوجب الغسل، وأما الحدث الأصغر فهو البول والغائط والريح والمذي والودي وهو يوجب الوضوء فقط. (الموسوعة الفقهية ٤٠ / ٧٦).

أما الخبث وهو النجاسة العينية فله تقسيمات شتى عند الفقهاء بحسب الاعتبار.

١- تقسيم النجاسة الحقيقية (العينية) إلى نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة:

من أدق التقسيمات في هذا ما ذهب إليه الشافعية إلى تقسيم النجاسة إلى نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة ونجاسة متوسطة، وهذا باعتبار ما تحتاج إليه في إزالتها.

القسم الأول: النجاسة المغلظة:

وهي ما تنجس بملاقاة شيء من كلب أو خنزير أو ما تولد منهما أو من أحدهما حيث تحتاج في إزالتها إلى الغسل بالماء والتراب.

القسم الثاني: النجاسة المخففة:

وهي ما تنجس ببول صبي لم يطعم غير لبن أو الثوب إذا تنجس من المذي، حيث يكفي في إزالتها النضح أو الرش بالماء.

القسم الثالث: النجاسة المتوسطة:

وهي ما تنجس بغيرهما من بول كبير أو أنثى ولو كانت صغيرة أو غائط إلى غير ذلك من أنواع النجاسات. (مغني المحتاج للشربيني ١ / ٨٣).

٢- تقسيم النجاسة الحقيقية إلى نجاسة متفق عليها ونجاسة مختلف فيها:

قبل أن نبدأ في الكلام على هذا التقسيم نود أن نذكِّر بقاعدة هامة في هذا الباب وهي «أن الأصل في الأعيان الطهارة»، فالأصل في كل ما خلق الله من إنسان وحيوان ونبات وجماد الطهارة، لأن الله عز وجل ذكرها في معرض الامتنان، فقال تعالى: « وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنه»، فإذا أردنا أن ننقل حكم الطهارة عن هذه الأشياء فلا بد من دليل على ذلك من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس معتبر، وما أحسن ما ذكره الإمام الشوكاني في هذا الشأن حيث قال: «والنجاسة حكم شرعي ناقل عن الحكم الذي يقتضيه الأصل والبراءة - أي الأصلية - فلا يقبل قول مدعيها إلا بدليل يصلح للنقل عنهما». (نيل الأوطار: ١ / ١٥٩).

القسم الأول: النجاسات المتفق عليها:

ونريد بها تلك الأعيان التي أجمع أهل العلم على نجاستها أو كان عليه الرأي عند أكثر أهل العلم وكان الخلاف فيه ضعيفًا وغير معتبر.

١- بول الآدمي وغائطه:

أجمع المسلمون على نجاسة بول الآدمي وغائطه، ووجوب اجتنابه، لا فرق بين الكبير والصغير، والذكر والأنثى، ولم يخالف في نجاسة بول الصبي الذي لم يطعم إلا داود الظاهري. (موسوعة الإجماع لسعدي حبيب: ٣ / ١١٥٤). وقد دلت السنة على ذلك، أما البول فلحديث ابن عباس المتقدم وفيه: «كان أحدهما لا يستنزه من بوله». وكذلك حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى أعرابيًا يبول في المسجد، فقال: «دعوه حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه». متفق عليه.

وأما نجاسة الغائط فلحديث أنس رضي الله عنه أيضًا قال: «كان النبي ﷺ إذا تبرز لحاجته أتيته بماء فيغسل به». متفق عليه.

ولقوله ﷺ في حديث الأعرابي كما عند مسلم: «هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر؛ إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن». (صحيح مسلم: ٢٨٥).

٢- سؤر الكلب والخنزير:

السؤر هو فضلة الشرب وهو ما يتبقى في الإناء بعد الشرب منه، وسؤر الكلب نجس

باتفاق أهل العلم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه «طُهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب». (صحيح مسلم: ٢٧٩)، وألحق أهل العلم بسؤر الكلب سؤر الخنزير لأنه أشد منه نجاسة.

٣- ميتة الحيوان:

فميتة الحيوان نجسة باتفاق أهل العلم لحديث ميمونة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سُئل عن فأرة سقطت في سمن، فقال: «ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم». (البخاري: ٢٣٥). ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما إهاب - أي جلد - دبغ فقد طهر». فدل ذلك على نجاسة الميتة وجلدها.

وألحق أهل العلم بحكم الميتة ما قطع من البهيمة قبل ذبحها لحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة». (ص. أبي داد: ٢٨٥٨-١٤٨٠).

فعلى هذا ما يقطع من إلية الضأن قبل الذبح أو ما يفعله بعض من يتولون الذبح في المذابح العامة من قطع أذن، أو بتر قدم ونحوه يدخل في حكم الميتة، فلا يحل أكله وهو نجس. (تمام المنة: عادل عزازي: ١ / ٢٥).

ويستثنى من الميتة ما يأتي:

أ- ميتة الآدمي: اتفق الفقهاء إلا الحنفية على طهارة ميتة الآدمي ولو كافرًا ؛ لقوله تعالى: « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » [الإسراء: ٧٠]، وتكريمهم يقتضي طهارتهم ولو أمواتًا، لقوله ﷺ: «إن المسلم لا ينجس»، (رواه الجماعة إلا البخاري) أما قوله تعالى: « إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ » [التوبة: ٢٨]، فيراد به نجاسة الاعتقاد، لا نجاسة الأبدان. (الفقه الإسلامي وأدلته ١ / ١٩٣).

ب- ميتة الحيوان المائي والجراد: فإن ميتتهما طاهرة باتفاق الفقهاء لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان: أما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال». (أخرجه أحمد ٢ / ٩٧، والبيهقي ١ / ٢٥٤)، فقوله ﷺ: «أحلت لنا ميتتان» دل على طهارتهما لأن النجس لا يجوز أكله والانتفاع به.

جـ- ميتة ما لا نفس له سائلة: كالذباب والبعوض والعقرب واستدلوا على ذلك بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء»، (البخاري ٣٣٢٠). ووجه الدلالة أنه ﷺ لا يأمر بغمس ما ينجس ما مات فيه، لأن ذلك عمد إفساد.

٤- لحم الحيوان غير المأكول اللحم:

فحكمه حكم الميتة حتى لو ذكى بالذبح لحديث أنس رضي الله عنه قال: أصبنا من لحم الحُمُر يعني يوم خيبر فنادى منادي رسول الله ﷺ: إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحُمر فإنها رجس أو نجس». متفق عليه. وفي رواية سلمة بن الأكوع قال ﷺ: «أهريقوها واكسروها - يعني الآنية التي تطبخ فيها لحوم الحُمر - فقال رجل: يا رسول الله، أو نهريقها ونغسلها؟ فقال: «أو ذاك». متفق عليه.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في شرح الحديثين: وقد أوردهما المصنف هنا للاستدلال بهما على نجاسة لحم الحيوان الذي لا يؤكل لأن الأمر بكسر الآنية أولاً، ثم الغسل ثانيًا، ثم قوله: «فإنها رجس أو نجس»، ثالثًا: يدل على النجاسة، ولكنه نص في الحمر الإنسية وقياس في غيرها مما لا يؤكل بجامع عدم الأكل. (نيل الأوطار: ١ / ١٩٧).

٥- لحم الخنزير:

وإن ذبح ذبحًا شرعيًا، لأنه بالنص القرآني نجس العين، قال الله تعالى: « قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ »، والرجس النجس والضمير في قوله تعالى: « فَإِنَّهُ رِجْسٌ » يرجع إلى أقرب مذكور في الآية

وهو: « لَحْمَ خِنْزِيرٍ »، فيكون لحمه وجميع أجزائه من شعر وعظم وجلد ولو مدبوغ نجسًا. (الفقه الإسلامي وأدلته: ١ / ٣٠٢).

٦- المذي:

وهو ماء أبيض رقيق يخرج عند ثوران الشهوة أو تذكر الجماع بلا تدفق ولا يعقبه فتور وهو نجس باتفاق أهل العلم للأمر بغسل الذكر - أي القبل - منه والوضوء كما في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنت رجلاً مذاء، وكنت استحيي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله، فقال: يغسل ذكره ويتوضأ». (متفق عليه). ولأنه خارج من سبيل الحدث لا يخلق منه طاهر فهو كالبول. (الموسوعة الفقهية الكويتية: ١ / ٩٣).

٧- الودي:

وهو ماء أبيض كدر ثخين يخرج عقب البول، أو عند حمل شيء ثقيل، وهو نجس كالمذي لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «المني والودي والمذي، أما المني فهو الذي منه الغسل، وأما الودي والمذي فقيهما الوضوء ويغسل ذكره»، (مصنف ابن أبي شيبة: ٩٨٤)، ولأنه يخرج مع البول أو بعده فله حكمه.

٨- دم الحيض والنفاس والاستحاضة:

اتفق الفقهاء على نجاسة دم الحيض والنفاس والاستحاضة أما دم الحيض فهو دم جبلة يخرج من أقصى رحم المرأة بعد بلوغها على سبيل الصحة من غير سبب في أوقات معلومة، (مغني المحتاج: ١ / ١٠٨). وهو نجس بالإجماع لحديث أسماء رضي الله عنها قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: أرايت إحدانا تحيض في الثوب كيف تصنع ؟ قال: «تحته ثم تقرصه بالماء وتنضحه وتصلي فيه»، وقوله ﷺ: «تحته» أي: تحكه، وقوله: «تقرصه» أي: تدلك موضع الدم بأطراف أصابعها ليتحلل بذلك ويخرج ما يشربه منه.

أما دم النفاس فهو الدم الخارج عقيب الولادة، وقد صرح الفقهاء بأن الأحكام التي تجري على الحائض هي نفس الأحكام التي تجري على النفساء، وذلك لأن دم النفاس هو دم الحيض إنما امتنع خروجه مدة الحمل لكونه ينصرف إلى غذاء الحمل. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٤١ / ١٦). وعليه فيأخذ دم النفاس حكم دم الحيض ويكون نجسًا.

أما دم الاستحاضة: فهو دم يخرج من فرج المرأة على سبيل المرض. (القوانين الفقهية لابن جزي ص٤٥)، وهو نجس باتفاق الفقهاء لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: لا، إنما ذلك عرق وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي». فدل أمره ﷺ لها بغسل الدم عنها على أنه نجس.

أما سائر الدماء غير التي ذكرنا فسنتكلم على حكم نجاستها عند الكلام على أنواع النجاسات المختلف فيها.

٩- بول وروث الحيوان غير مأكول اللحم:

ذهب أكثر أهل العلم إلى القول بنجاسة بول وروث غير مأكول اللحم، لما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار، فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجد، فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال: هذه ركس. (البخاري: ١٥٦). وفي رواية أخرى أنها رجس، والركس والرجس أي النجس، قال الإمام الشوكي رحمه الله: وأما الروث فعلة النهي عنه النجاسة، والنجاسة لا تزال بمثلها. (نيل الأوطار).

ويبقى أن نتكلم عن أنواع النجاسات المختلف فيها، ثم كيفية تطهير النجاسات، وهو ما سنتناوله في العدد القادم - إن شاء الله - وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

○○○○○

قصة مفتراة على النبي صلى الله عليه وسلم



في التردِّي من رءوس شواهق الجبال

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وفي كتب السير، وتطعن هذه القصة المنكرة في أخلاق النبي ﷺ فيما نسبوه إليه من الهم بقتل نفسه بالتردي من رءوس شواهق الجبال، وهذه العملية الانتحارية المنسوبة كذبًا إلى رسول الله ﷺ تقدح في الشرع، وللقارئ الكريم تخريج وتحقيقها هذه القصة الواهية:

أولا: متن القصة

يُرْوَى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أيامًا لا يرى جبريل، فحزن حزنًا شديدًا حتى كان يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة يريد أن يلقي نفسه منه، فبينا رسول الله ﷺ كذلك عامدًا لبعض تلك الجبال إلى أن سمع صوتًا من السماء، فوقف رسول الله ﷺ صعقًا للصوت، ثم رفع رأسه، فإذا جبريل على كرسي بين السماء والأرض متربعًا عليه يقول: يا محمد، أنت رسول الله ﷺ حقًا وأنا جبريل. قال: فانصرف رسول الله ﷺ وقد أقر الله عينه وربط جأشه، ثم تتابع الوحي بعد وحمي. اهـ.

ثانيا: التخريج

الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/١٩٦): أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن أبي موسى عن داود بن الحصين عن أبي غطفان بن طريف عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه... القصة.

ثالثا: التحقيق

هذه القصة واهية وفيها علتان:

الأولى: محمد بن عمر وهو الواقدي، فقد نقل الحافظ ابن حجر أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه، حيث قال في «تهذيب التهذيب» (٩/٣٢٣)...

١- قال زكرياء بن يحيى الساجي: محمد بن عمر الواقدي متهم.

٢- وقال الشافعي فيما أسنده البيهقي: كتب الواقدي كلها كذب.

٣- وقال النسائي في الضعفاء: الكذابون المعروفون بالكذب على رسول الله ﷺ أربعة: الواقدي بالمدينة، ومقاتل بخراسان، ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام، وذكر الرابع.

٤- وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه.

٥- وقال ابن المديني: عنده عشرون ألف حديث يعني ما لها أصل، وقال في موضع آخر:

ليس هو بموضع للرواية.

٦- وقال أبو داود: لا أكتب حديثه ولا أحدث عنه.

٧- وقال إسحاق بن راهويه: هو عندي ممن يضع.

٨- وحكى أبو العرب عن الشافعي قال: كان بالمدينة سبع رجال يضعون الأسانيد: أحدهم الواقدي.

٩- وقال أبو زرعة الرازي وأبو بشر الدولابي والعقيلي: متروك الحديث.

١٠- وقال أبو حاتم الرازي: وجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين مناكير.

١١- وحكى ابن الجوزي عن ابن أبي حاتم أنه قال: كان يضع.

١٢- وقال الدارقطني: الضعف يتبين على حديثه.

١٣- وقال الذهبي في الميزان: استقر الإجماع على وهن الواقدي. اهـ.

قُلْتُ: وبالبحث في «الميزان» (٥/١٠٨/٧٩٩٣) للإمام الذهبي نجده يقول: «واستقر الإجماع على وهن الواقدي».

وعلة أخرى: إبراهيم بن محمد بن أبي موسى وهو ابن أبي يحيى واسمه سمعان الأسلمي مولاهم أبو إسحاق المدني وهو متروك أيضًا مثل الواقدي أو أشد، قال فيه الحافظ أيضًا: «متروك».

ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١/١٣٧): أقوال الأئمة الطاعنين فيه وهي تكاد تكون مجمعة على تكذيبه، ومنها قول الحربي: «رغب المحدثون عن حديثه، وروى عنه الواقدي ما يشبه الوضع، ولكن الواقدي تالفٌ».

قُلْتُ: وإبراهيم بن محمد قال فيه بشر بن المفضل: سألت فقهاء أهل المدينة عنه فكلهم يقولون كذاب، وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد كذاب.

رابعًا: الحديث الصحيح في قصة بدء الوحي

إن الرواية الصحيحة في قصة بدء الوحي لم يوجد بها هذا الخبر الباطل المنسوب إلى النبي ﷺ من الهم بقتل نفسه بالتردي من رءوس شواهق الجبال.

فقد أخرج الرواية الصحيحة في قصة بدء الوحي الإمام البخاري في «صحيحه» كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح(٣)، حيث قال:

حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ». قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: «ما أنا بقارئ». فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ». فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال: «زملوني، زملوني». فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي». فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَ الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخرِجيَّ هم؟!» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم

ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي. اهـ.

قُلْتُ: وهذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الصحيحة أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣٣٩٢) من رواية عقيل بن خالد عن ابن شهاب أيضًا، ولم يوجد بها الخبر الباطل المنسوب إلى النبي ﷺ من الهم بقتل نفسه بالتردي من رءوس شواهق الجبال.

وكذلك أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٤٩٥٥)، (ح٤٩٥٦)، ح(٤٩٥٧) من رواية عقيل بن خالد عن ابن شهاب أيضًا، ولم يوجد بها هذا الخبر الباطل.

خامسا: القصة عند الإمام مسلم

وأخرج هذه القصة الصحيحة الإمام مسلم في «صحيحه» كتاب «الإيمان» باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ من رواية يونس بن يزيد عن ابن شهاب، ولم يوجد بها هذا الخبر الباطل.

حيث قال الإمام مسلم في «صحيحه» ح(١٦٠): حدثني أبو طاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سَرْح، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنها قالت: «كان أول ما بُدئ بها رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...» القصة.

إلى قول رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم ؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا». اهـ.

قُلْتُ: ثم أخرج الإمام مسلم هذه القصة الصحيحة من رواية عقيل بن خالد عن ابن شهاب كتاب «الإيمان»، باب: «بدء الوحي» (ح٣) حيث قال: وحدثني عبد الملك بن شعيب بن الليث، قال: حدثني أبي عن جدي، قال: حدثني عقيل بن خالد، قال ابن شهاب: سمعت عروة بن الزبير يقول: قالت عائشة زوج النبي ﷺ: فرجع إلى خديجة يرجف فؤاده واقتص الحديث بمثل حديث يونس...».

قُلْتُ: هكذا أخرج الإمام مسلم القصة الصحيحة من حديث يونس بن يزيد، ومن حديث عقيل بن خالد، وبين التوافق بين الحديثين بقوله:

«واقتص الحديث بمثل حديث يونس».

قلت: والإمام البخاري - رحمه الله - جمع طريق عقيل وطريق يونس في الحديث (٤٩٥٣) حيث قال: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب (ح)، وحدثني سعيد بن مروان، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، أخبرنا أبو صالح سلمويه قال: حدثني عبد الله عن يونس بن يزيد قال: أخبرني ابن شهاب أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم...» القصة.

قلت: وبهذا يتبين أن القصة الصحيحة الخالية من هذا الخبر الباطل جاءت في أعلى درجات الصحة المتفق عليها عند علماء الحديث.

سادسا: أوهام من لا دراية له بعلل الحديث وعلومه

لقد وقع الكثير في خطأ فاحش لعدم جمع الروايات حول هذه القصة كما بينا آنفًا، بل وصل الحد بأحد الوعاظ أن صعد المنبر ليطعن في أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، وهو معذور بجهله بعلل الحديث، فظن بجهله أن الإمام البخاري أخرج قصة التردي الباطلة في صحيحه، ولا يدري المسكين ولا أمثاله من الطاعنين في جبل الحفظ الإمام البخاري الذي لا يعرف قدره في هذا العلم إلا أهله، ففي «البداية والنهاية» (١١/٩٦) نجد قول أحمد بن حمدون: «جاء مسلم بن الحجاج إلى البخاري فقبل بين عينيه، ثم سأله عن بعض الأحاديث فذكر له علتها، فلما فرغ قال مسلم: «لا يبغضك إلا حاسد، يا أستاذ الأستاذين، ويا سيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله». اهـ.

قلت: فالإمام البخاري رحمه الله بين طرق القصة الصحيحة في الأحاديث التي على شرطه في «صحيحه»، وهي (ح٣، ٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧)، واتفق معه الإمام مسلم كما بينا آنفًا.

ثم أراد الإمام البخاري وهو طبيب الحديث في علله أن يكشف عن علة هذه القصة الباطلة التي يزيدها البعض على قصة الوحي

الصحيحة التي بيناها آنفًا وهي زيادة باطلة كشفها الإمام البخاري وبين علتها في كلمة بين السطور لا يعرفها إلا من له دراية بعلم الحديث.

حيث بين هذه العلة الإمام البخاري في الحديث رقم (٦٩٨٢)، فبعد أن أخرج القصة الصحيحة التي انتهت بقول النبي ﷺ: «أَوَ مخرجي هم؟» فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

قلت: إلى هنا انتهت القصة الصحيحة كما بينا آنفًا في الحديث رقم (٣) من رواية عقيل بن خالد، ثم أخرج الإمام البخاري الزيادة التي بها القصة الباطلة مبينًا علتها، فغفل عن هذه العلة الغافلون متوهمين أنها على شرط البخاري، لكن هيهات، فقد ذكر الزيادة وهي: وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدا منه مرارًا كي يتردى من شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقي فيه نفسه تَبَدَّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدَّى له جبريل، فقال له مثل ذلك.

سابعًا: تحقيق هذه الزيادة المنكرة

لقد جمع الإمام البخاري - وهو طبيب الحديث في علله - طرق قصة بدء الوحي في سبعة أحاديث، كما بينا آنفًا من حديث عقيل بن خالد عن ابن شهاب، ومن حديث يونس بن يزيد عن ابن شهاب، ومن حديث معمر بن راشد عن ابن شهاب، ولقد بينا الرواية الصحيحة المتفق عليها بغير هذه الزيادة الباطلة.

وهذه الزيادة الباطلة بين علتها الإمام البخاري من جمعه لطريق الحديث، حيث جاء في متنها: «حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارًا كي يتردى من شواهق الجبال...».

قلت: وتظهر العلة جلية من بين السطور لمن له دراية بعلم الحديث وبمنهج الإمام البخاري في لفظة «فيما بلغنا»، فأصبحت هذه الزيادة من البلاغات، فأصبح هنا سقط في الإسناد تصبح الرواية به ساقطة واهية.

لذلك قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/٣٧٦): «والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر».

قلت: وفي «تهذيب التهذيب» (٧/٢٢٨) في ترجمة عقيل بن خالد نقل الحافظ ابن حجر قول الإمام ابن أبي حاتم: «سئل أبي أيما أثبت عقيل أو معمر، فقال: عقيل أثبت، كان صاحب كتاب». اهـ.

قلت: ونقل أيضًا الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١١/٣٩٦) في ترجمة يونس بن يزيد: «قال يعقوب بن شيبة عن أحمد بن العباسي قلت لابن معين معمر أو يونس قال: يونس أسندهما. وقال ابن أبي خيثمة عن ابن معين يونس ومعمر عالمان بالزهري وقال أحمد بن صالح: نحن لا نقدم في الزهري على يونس أحدًا». اهـ.

قلت: لذلك بين الحافظ في «الفتح» (١٢/٣٧٦) أن هذه الزيادة المنكرة لم تكن في رواية عقيل ولا في رواية يونس وهما من أثبت الناس في الزهري ولا يقدم عليهما في الزهري أحدٌ حيث قال: «والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر فقد أخرج طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه أول الكتاب بدونها وأخرجه مقرونًا هنا برواية معمر وبين أن اللفظ لمعمر وكذلك صرح الإسماعيلي أن الزيادة في رواية معمر وأخرجه مسلم وأحمد والإسماعيلي وغيرهم وأبو نعيم أيضًا من طريق جمع من أصحاب الليث بدونها، ثم إن القائل فيما بلغنا هو الزهري، ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً». اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن هذه الزيادة باطلة بما بينه الإمام البخاري رحمه الله من جمع طرق الحديث وتفرد معمر بهذه الزيادة دون يونس وعقيل، ومع هذا التفرد فهي ساقطة بالسقط في الإسناد لأنها من بلاغات الزهري.

وفي «التدريب» (١/٢٠٥): مراسيل الزهري قال ابن معين ويحيى بن سعيد القطان: ليس بشيء.

لذلك قال الألباني رحمه الله في الرد على البوطي في كتابه «فقه السيرة» (ص٤١): نستنتج مما سبق أن لهذه الزيادة علتان:

الأولى: تفرد معمر بها دون يونس وعقيل، فهي شاذة.

الأخرى: أنها مرسلة معضلة، فإن القائل - فيما بلغنا - إنما هو الزهري كما هو ظاهر من السياق، وبذلك جزم الحافظ في الفتح (١٢/٣٠٢) وقال: «وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً».

ثم قال الألباني: وهذا مما غفل عنه الدكتور أو جهله فظن أن كل حرف في «صحيح البخاري» هو على شرطه في الصحة،ولعله لا يفرق بين الحديث المسند فيه والمعلق كما لم يفرق بين الحديث الموصول فيه والحديث المرسل الذي جاء فيه عرضًا كحديث عائشة هذا الذي جاءت في أخره هذه الزيادة المرسلة.

واعلم أن هذه الزيادة لم تأتِ من طريق موصولة يحتج بها كما بينته في «سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٤٨٥٨). اهـ.

قُلْتُ: والطريق الموصول هو الذي أخرجه ابن سعد في الطبقات كما بينا آنفًا، وهو طريق تالف بما فيه من الكذابين.

وقال الألباني رحمه الله في الضعيفة (ح٤٨٥٨): إنه حديث باطل. اهـ.

قلت: وهناك إدراج لهذه القصة الواهية في تفسير ابن مردويه خلط الصحيح بالباطل فيتوهم من لا معرفة له أن الطريق موصول ولم يفصل كما فصل الإمام البخاري في رواية معمر الصحيح المسند عن البلاغات الساقطة الإسناد، وبين هذا الإدراج الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٢/٣٧٦) حيث قال: ووقع عند ابن مردويه في التفسير من طريق محمد بن كثير عن معمر بإسقاط قوله: «فيما بلغنا»، ولفظه: «فترة حزن النبي ﷺ منها حزنًا غدا منه» إلى آخره فصار كله مدرجًا على رواية الزهري وعن عروة عن عائشة.

قلت: والذي أدرجه محمد بن كثير وهو الصنعاني المصيصي.

نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٩/٣٧٠) عن عبد الله بن أحمد قال: ذكر أبي محمد بن كثير فضعفه جدًا، وضعف حديثه عن معمر جدًا، وقال: هو منكر الحديث، وقال حاتم بن الليث عن أحمد: ليس بشيء يحدث بأحاديث مناكير ليس لها أصل. اهـ.

ثامنًا

بهذا يتبين أن القصة واهية منكرة، وأن ما نسبوه إلى رسول الله ﷺ من الهم بقتل نفسه بالتردي من فوق شواهق الجبال ؛ كذب وباطل من سقط في الإسناد، وطعن في الراوي، وتظهر هذه النكارة من الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري (ح١٣٦٥، ٥٧٧٨)، ومسلم في «صحيحه» ح(١٠٩) حيث قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو سعيد الأشج قالا: حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا».

وبهذا يتبين قول الإمام السخاوي في «فتح المغيث» (١/٦٣): «وبما تقدم تأيد حمل قول البخاري: «ما أدخلت في كتابي إلا ما صح» على مقصوده به وهو الأحاديث الصحيحة المسندة دون التعاليق والآثار الموقوفة على الصحابة فمن بعدهم، والأحاديث المترجم بها، ونحو ذلك». اهـ.

وبهذا يتبين دقة جمع الإمام البخاري لطرق الحديث في أماكنه المتفرقة وبيان علل الحديث، فهو طبيب الحديث في علله، وبهذا يتبين أن قصة التردي واهية.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

تأخير الصلاة عن وقتها

١- يسأل أبو مريم - مدينة نصر - القاهرة يقول:
نعمل في شركة ننتقل إليها من مسكننا بأتوبيس الشركة، ويؤذن لصلاة العصر ونحن في الأتوبيس بحيث لا ندرك صلاة الجماعة قبل ركوب الأتوبيس ولا بعد النزول منه عند عودتنا لمنازلنا.

الجواب: قال الله تعالى: « إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » [البقرة]، فينبغي لكل مسلم أن يبذل جهده ما استطاع لأداء هذه الصلاة في مواقيتها مع الجماعة في المسجد، فإذا ركب المرء سيارة وأمكن التوقف بها عند مسجد من المساجد بالطريق لأداء صلاة الجماعة فهذا أعظم أجرًا، وإن كان على يقين أنه لن يدركها مع الجماعة في بلده أو في الطريق فعليه أن يجمعها مع الظهر جمع تقديم، ولا ينتظر حتى يدخل عليه المغرب، والله تعالى يقول: « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » [التغابن: ١٦].

تأثير الجن

تسأل: ا ك ع، مدينة العاشر من رمضان تقول:
هل للجن تأثير على الإنس أو العكس؟

الجواب: تأثير الجن على الإنس والعكس معلوم من الشرع والواقع، وكذلك عين الحاسد على المحسود، وكل ذلك بتقدير الله سبحانه.

وقد قال النبي ﷺ: «إن عفريتًا من الجن تَفَلَّتَ عليَّ البارحة ليقطع عليَّ الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: « قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي »، فردَّته خاسئًا خائبًا. (البخاري عن أبي هريرة).

فعالم الجن وأحوالهم غيبي بالنسبة للإنسان، لا يعلم منها إلا ما جاء في كتاب الله تعالى أو صح من سنة رسول الله ﷺ.

والجني قد يتمكن من الإنسي ويصيبه بأذى، والإنسي قد يتمكن من الجني ويصيبه بأذى خاصة إذا تمثل الجن بصورة حيوان مثلاً، وفي حديث أبي السائب قال: دخلنا على أبي سعيد الخدري، فبينما نحن جلوس إذ سمعنا تحت سريره حركة فنظرنا فإذا فيه حية فوثبت لأقتلها، فأشار إليَّ أن أجلس، فجلست، فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت من الدار، وقال: أترى هذا البيت ؟ كان فيه شاب حديث عهد بعرس، فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ في أنصاف النهار يرجع إلى أهله، فاستأذنه يومًا، فقال رسول الله ﷺ: «خذ عليك سلاحك فإني أخشى عليك قريظة»، فأخذ سلاحه ثم رجع إلى أهله، فإذا امرأته بين البابين قائمة، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به، وأصابته غيرة، فقالت: اكفف عليك رمحك وادخل الباب حتى تنظر ما الذي أخرجني، فدخل، فإذا بحية عظيمة منصوبة على الفراش، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه بالدار فاضطربت عليه فما أدري أيهما كان أسرع موتًا الحية أو الفتى، فجئنا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك، فقال: إن بالمدينة جنًا قد أسلموا، فإذا رأيتم منها شيئًا فآذنوه ثلاثًا، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان. [مسلم: ٢٢٣٦].

الصلاة في المساجد التي بها أضرحة

يسأل: د. حسام عبد الفتاح، عدة أسئلة:

أ- يقول: شاهدت في بعض البرامج من أجاز الصلاة في المساجد التي بها أضرحة وقبور، وقد فسَّر الحديث: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»؛ بأنهم عبدوا أنبياءهم، فهل هذا صحيح، وما حكم الصلاة إذن في المساجد التي بها قبور ؟

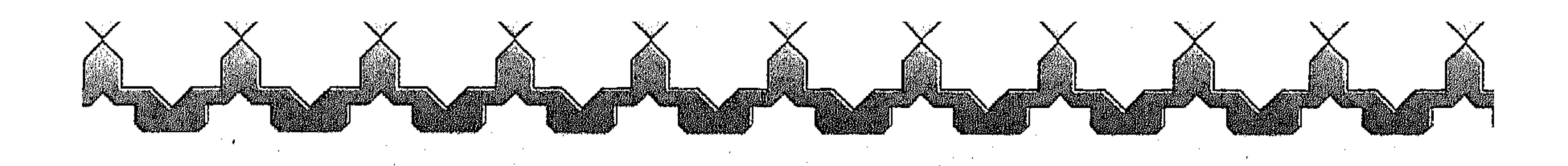
والجواب: جاء في البخاري ومسلم أن أم حبيبة وأم سلمة كانتا من المهاجرين إلى الحبشة، ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها في الحبشة فيها تصاوير، فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». وجاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال في مرضه الأخير «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة: فلولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يُتخذ مسجدًا.

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: ولما احتاج الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون إلى الزيادة في مسجده ﷺ وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة مدفن الرسول ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله، لئلا يَظْهَرَ في المسجد فيصلي إليه العوام، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر، وعلى هذا فالإسلام لا يوافق على ما فعله اليهود من بناء المساجد على القبور، واتخاذها أماكن للعبادة، واتخاذ القبر مسجدًا يكون بصورتين: جعل مكان السجود على القبر ذاته، أو جعله أمام المصلي ليتجه إليه بالعبادة.

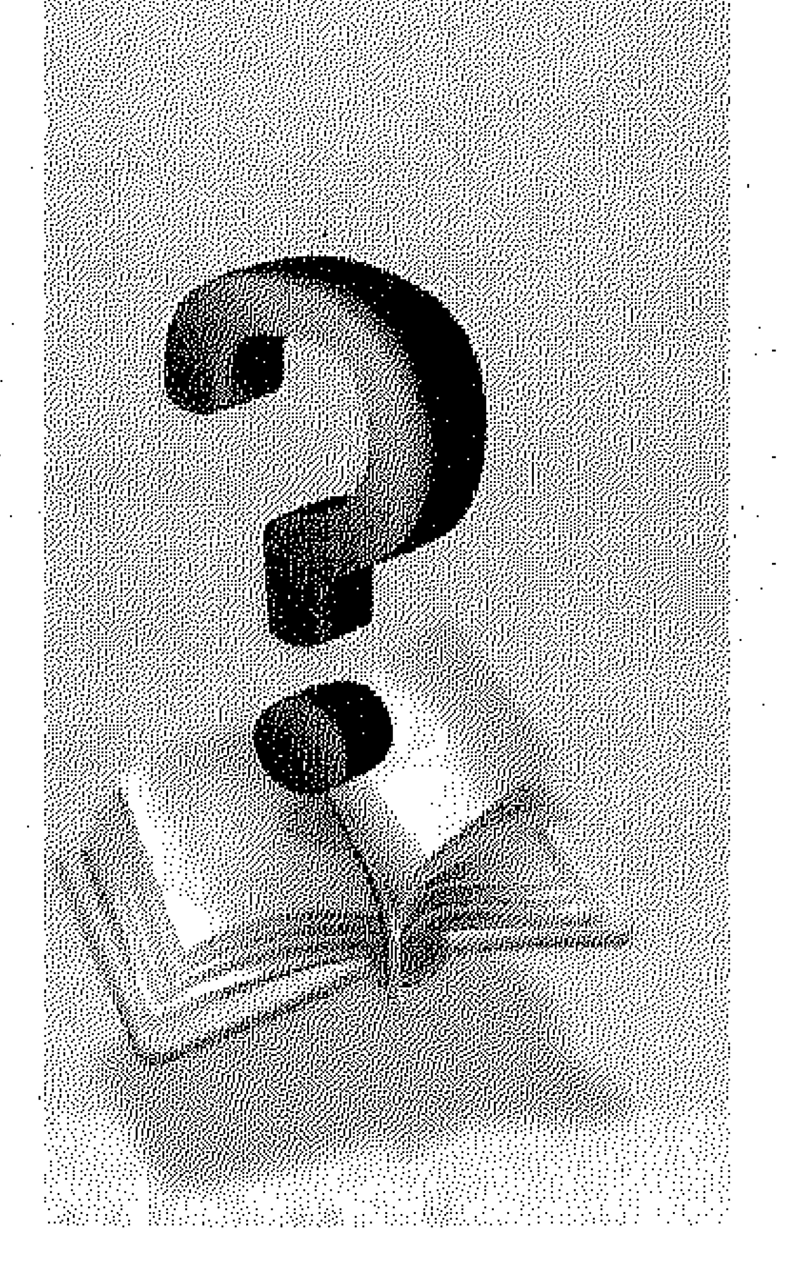
شبهة حول انتشار الإسلام

س: كما يقول السائل نفسه: عمن شاهده على التلفاز أنه أطلق تعليقًا حول الحديث الصحيح: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله»، فيقول: إن الأمر هنا كان مقتصرًا على الرسول ﷺ وحده، وفسر كلمة «الناس» أنها عربُ الجزيرة وكفارها، فهل هذا هو معنى الحديث؟

الجواب: الأمر بقتال المشركين لم يكن مقتصرًا على الرسول ﷺ وحده، وإنما فعل ذلك أصحابه من بعده، والتابعون لهم وأئمة الإسلام على مدار الزمن، فنشروا الإسلام بالحجة والبيان لمن استمع البلاغ واستجاب له، وانتشر بالقوة والسيف لمن عاند وكابر وحارب وحرض على المسلمين حتى رُد كيده وغُلب على أمره، ولذلك قال النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله». ولفظ: «أقاتل» يقتضي المفاعلة بمعنى وجود طرف آخر قام بقتال أهل الإسلام لمنعهم من أداء رسالتهم والدعوة إلى دينهم، ولم يكن ذلك خاصًا بأهل الجزيرة وإنما راسل النبي ﷺ الملوك والرؤوساء في أنحاء العالم وكذلك خلفاؤه من بعده، فمن استجاب ومكن الدعاة إلى الإسلام من الدعوة ونشر الدين لم يقاتل، ومن منع من نشر الإسلام قوتل، وواقع المسلمين بعد رسول الله ﷺ شاهد بذلك.



حكم الغناء والمعازف



ويسأل أيضًا فيقول: ما حكم الغناء مصحوبًا بآلات العزف والموسيقى؟

الجواب: ليس الغناء حرامًا كله ولا حلالاً كله، فإذا كان الغناء شعْرًا خاليًا من الكلام المحرم الذي يدعو إلى الرذيلة أو يكون في وصف النساء، أو الفخر على الناس والسخرية بهم ونحو ذلك، كان حلالاً، ومثل هذا الذي قال فيه النبي ﷺ: «إن من الشعر حكمة»، وقد كان النبي ﷺ يسمع الشعر من حسان بن ثابت رضي الله عنه، بل ويأمره أن يرد بشعره على الكافرين.

هذا إذا كان أيضًا بدون آلة موسيقية، خاصة إذا قصد به التذكير أو الترويح عن النفس أو التخفيف من وعثاء العمل والسفر ومشقته ولم يكن مهنة أو يخرج عن حد الاعتدال، وبدون اضطراب ورقص وتَثَنٍّ وضرب بالرجل مما يخل بالمروءة، كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها لما قيل لها: يا أم المؤمنين؛ ألا تدعو لهن من يلهيهن؟ وذلك لبنات خُفضن فتألمن (الختان)، قالت: بلى، فأرسلت إلى فلان المغني فأتاهم، فمرت بهم عائشة رضي الله عنها في البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه، وكان ذا شعْرٍ كثير، فقالت عائشة: أف، شيطان أخرجوه أخرجوه.

والحديث أورده البخاري في الأدب المفرد بسند حسن، والبيهقي في سننه.

وقد ترجم البيهقي لمثل هذا الحديث بقوله: «باب الرجل لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك، ولا يأتي عليه».

وعليه فإذا كان الغناء كغناء الحجيج في وصف الكعبة وزمزم فسماع ذلك مباح بالشروط المتقدمة، وكذلك أناشيد الغزاة وأشعار الحُداة.

أو عند العمل الشاق كما حدث في حفر الخندق، كقول الصحابة رضي الله عنهم:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنْزلَنْ سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

أما هذا الغناء نفسه إن صاحبه موسيقى ومعازف فلا يجوز؛ لقول النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف»، حديث صحيح.

والحر: الفرج، والمراد: الزنا، والمعازف آلات العزف.

والغناء الجائز هو أن يكون من الرجال للرجال، ومن النساء للنساء، ولا يجوز غير ذلك، والله أعلم.

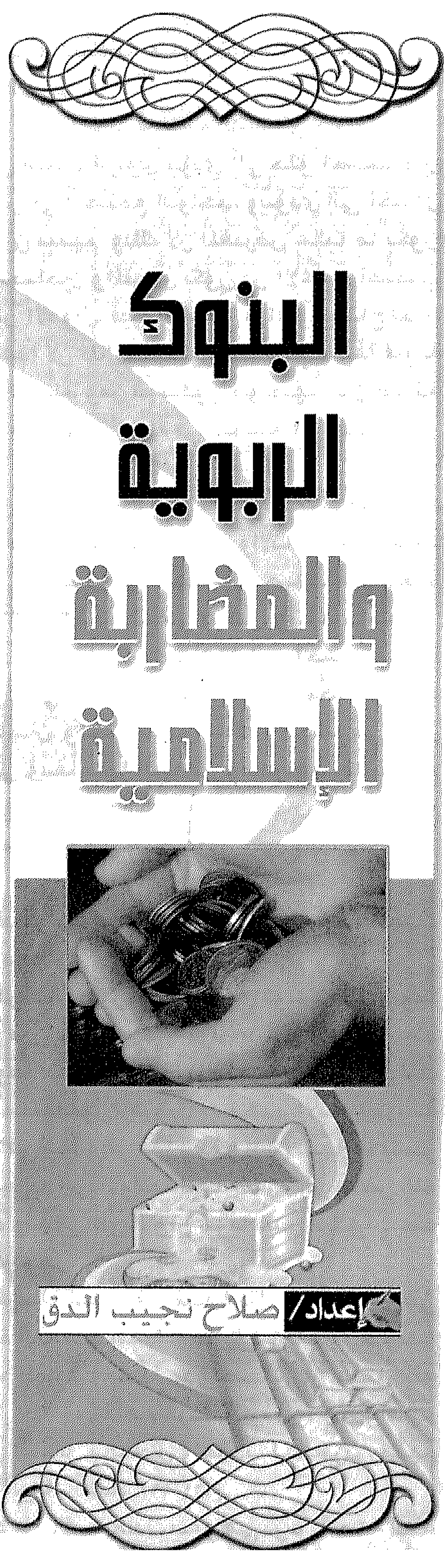
ويسأل: علي عبد اللطيف الشهير بـ «علي أوكى» من مينا القمح يقول:

ما حكم قيء الطفل الصغير وترجيعه للبن الرضاعة على الثياب؟

الجواب: تنازع العلماء في خروج النجاسة من غير السبيلين كالجرح والرعاف والقيء، فمذهب مالك والشافعي لا ينقض، وكذلك أحمد، لكن قال أحمد: إذا كان كثيرًا ينقض. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الوضوء من القيء والرعاف والحجامة والفصد (وهو سحب دم من العرق) والجراح؛ الوضوء من ذلك مستحب، وأما وجوبه فليس عليه دليل في الكتاب والسنة.

وعن الحسن: لو تناول المرء طعامًا أو ماءً ثم تقيأ من ساعته لا ينتقض الوضوء ؛ لأنه طاهر لم يَسْتَحِل (أي: لم يتغير ويتحول)، وإنما اتصل به قليل من القيء فلا يكون حدثًا ولا نجسًا، وكذا الصبي إذا ارتضع وقاء من ساعته وفوره. اهـ.

وألحقوا بذلك الماء النازل من فم النائم إذا كان ذا لون ورائحة كريهة، يعني عدم النجاسة. والله أعلم.



الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، أما بعد:

فإن الربا له آثار خطيرة على الفرد والمجتمع، وقد جعل الله تعالى في المضاربة الإسلامية بديلاً عن التعامل بالربا، من أجل ذلك أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بهذا الأمر الذي يشغل كثيرًا من المسلمين، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

أضرار الربا على المجتمع

إن للربا آثارًا خطيرة على المجتمع الذي ينتشر فيه، وسأتحدث عن الأضرار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للربا بإيجاز شديد:

أولاً: الأضرار الاقتصادية

إن للربا آثارًا سيئة على اقتصاد المجتمع الذي ينتشر فيه يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- الربا يمنع الاستثمار في المشروعات المفيدة للمجتمع:

إن صاحب المال يجد في النظام الربوي فرصة للحصول على نسبة معينة من الربا على ماله، وهذا يصرفه عن استثمار ماله في مشروعات زراعية أو صناعية أو تجارية تعود على المجتمع بالنفع والخير الكثير، وينصرف عن تلك المشروعات التي قد تكون ضرورية للمجتمع لأنها قد تتطلب منه جهدًا واستعدادًا لتحمل الخسارة، في حين أن صاحب المال يتمكن في النظام الربوي من الحصول على هذا الربح دون مشقة أو خسارة، وهكذا يكون الربا مصدرًا لتوقف الأموال عن خدمة المجتمع، ومِن ثَمَّ يترتب على ذلك انخفاض الإنتاج. (التدابير الواقية من الربا، لفضل إلهي ص٨١- ٨٤).

٢- الربا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار:

يرجع ارتفاع الأسعار في العالم اليوم بحد كبير إلى النظام الربوي السائد اليوم، فلا يرضى صاحب المال إذا استثمر ماله في زراعة أو صناعة أو شراء سلعة أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نسبة الربا، وكلما زاد الربا كلما ارتفعت الأسعار كثيرًا، هذا إذا كان المنتج أو التاجر صاحب المال، وأما إذا كان المنتج أو التاجر ممن يقترض بالربا فإن ارتفاع أسعار منتجاته شيء طبيعي، حيث سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه من الربا.

٣- الربا يؤدي إلى انتشار البطالة:

يتسبب الربا في انتشار البطالة، وذلك لأن أصحاب الأموال يفضلون إقراض أموالهم بالربا على استثمارها في إقامة المشروعات المختلفة، وهذا بلا شك يقلل من فرص العمل، فتنتشر البطالة نتيجة لذلك، وقد بين بعض علماء الغرب أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين البطالة والتعامل الربوي، وذلك واضح من اعتراف أحد علماء الغرب حيث يقول: من مصلحتنا أن نخفض سعر الربا إلى درجة نتمكن من تشغيل الناس جميعًا. (التدابير الواقية من الربا: لفضل إلهي ص٨٥-٨٧).

ثانيًا: الأضرار الاجتماعية

إن للربا أضراراً اجتماعية خطيرة نجملها فيما يلي:

١- استغلال حاجة الآخرين:

إن التعامل الربوي يقوم على أساس استغلال حاجة الآخرين حيث ينتظر المرابي المحتاجين إلى ماله ليس ليساعدهم، بل ليجد فريسة تحقق رغباته في امتصاص دماء الآخرين، فهو يعطيهم بالربا قروضًا ثم لا يهمه أن يربح المقترض أم لا، بل المهم عند المرابي أن يحصل على أكبر قدر ممكن من المال ربًا على ماله، ولذلك فإن الربا يذهب المعروف بين الناس حيث لا يجد المحتاج من يواسيه أو يقرضه قرضًا حسنًا، وهذا كله يترك آثارًا سيئة في قلب المحتاج، فينشأ الحقد والغضب في قلبه نحو الأغنياء المرابين الذين يستغلون حاجة الفقراء إلى المال، وهذا يجعل الفقير المحتاج الذي اقترض بالربا يعمل بتهاون وكسل لأنه يعلم أن ما سيكسبه بكَدِّه وسعيه سيسلبه المرابون الظالمون، فتقل رغبتهم في العمل ومن ثمَّ يضعف الإنتاج. (التدابير الواقية من الربا، لفضل إلهي ص٩٠).

٢- الربا يؤدي إلى التشاجر والحروب بين الناس:

لما كان النظام الربوي يقوم على أساس الاستغلال، فكان من الطبيعي أن تحدث المشاجرات بين أفراد المجتمع الواحد، ولأجل هذا الاستغلال فإنه في كثير من الأحيان لا يريد من كان عليه دين أن يدفع ما يجب في ذمته من أصل أو ربا إلا مكرهًا فتكون الخصومات والمشاحنات بين الدائن والمدين، وكان العرب في الجاهلية يتعاملون بالربا، فيحصل بسببه محاربات عظيمة، وفي الوقت الحاضر قد أدى التعامل بالربا إلى احتلال بعض الدول الغنية دولاً فقيرة بحجة ضمان أموالها والمحافظة عليها. (التدابير الواقية من الربا: لفضل إلهي ص٩٠).

٣- الربا يؤدي إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات:

إن النظام الربوي يؤدي إلى خلق الطبقية بين الناس في المجتمع الواحد، ويؤدي إلى اختلال التوازن بينهم، وذلك لأن المقترض غالبًا ما يكون من المحتاجين والمقرض يكون من الأغنياء أصحاب رؤوس الأموال، فيزداد الغني ثراءً والمحتاج فقرًا، وكل هذا لأن المال محصور بين أيدي طائفة قليلة من الأثرياء، ومن ثَمَّ تكون مواجهة بين طبقة الفقراء وطبقة الأغنياء في المجتمع الواحد.

ثالثًا: الأضرار النفسية للربا:

إن للربا أضرارًا نفسية خطيرة، وذلك لأنه يولد في الإنسان حب الأثرة والأنانية، فلا يعرف المرابي إلا نفسه، ولا يهمه إلا مصلحته، فتنعدم بذلك روح التضحية والإيثار، وتنعدم معاني الخير بين الناس، فيصبح المرابي وحشًا مفترسًا لا هم له في الحياة إلا جمع المال وامتصاص دماء المحتاجين، وهكذا ينتشر الحقد والجشع في نفس المرابي ويقابلها البغض والكراهية للأغنياء المرابين من جانب الفقراء المحتاجين. (روائع البيان لمحمد علي الصابوني جـ١ ص٣٩٥).

مراحل تحريم الربا

لقد مَرَّ تحريم الربا بأربع مراحل سوف أتحدث عنها بإيجاز:

المرحلة الأولى: تبدأ بنزول قوله تعالى: «وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» [الروم: ٣٩]، فهذه الآية الكريمة نزلت في مكة وهي كما يظهر ليس فيها ما يشير إلى تحريم الربا، وإنما فيها إشارة إلى بغض الله تبارك وتعالى للربا، وأن الربا ليس له ثواب عند الله عز وجل.

المرحلة الثانية: وفيها نزل قوله تعالى في سورة النساء: «فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [النساء: ١٦٠-١٦١].

وهذه الآية مدنية وهي درس قصه الله سبحانه وتعالى علينا من سيرة اليهود الذين حُرِّمَ

عليهم الربا فأكلوه فاستحقوا اللعنة والغضب من الله تعالى، وهو تحريم بالإشارة لا بالتصريح لأنه حكاية عن جرائم اليهود ليس فيه ما يدل دلالة قطعية على أن الربا محرم على المسلمين. (روائع البيان: لمحمد علي الصابوني جـ١ ص٣٩٠).

المرحلة الثالثة: وفيها نزل قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [آل عمران: ١٣٠].

وهذه الآية مدنية وفيها التصريح بتحريم الربا ولكنه تحريم جزئي لا كلي لأنه تحريم لنوع من الربا الذي يسمى الربا الفاحش، وهو الربا الذي بلغ في الشناعة والقبح الذروة العليا وبلغ في الإجرام النهاية العظمى حيث كان الدَّين فيه متزايدًا حتى يصبح أضعافًا مضاعفة، تضعف عن سداده كاهل المستدين، الذي استدان لحاجته وضرورته. (روائع البيان لمحمد علي الصابوني جـ١ ص٣٩٠- ٣٩١).

المرحلة الرابعة: وفيها نزل قوله تعالى بتحريم الربا تحريمًا كليًا، وذلك في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ» [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وظهر في هذه الآية المباركة الجامعة تحريم الربا تحريمًا قطعيًا لا فرق بين قليله أو كثيره. (روائع البيان لمحمد علي الصابوني جـ١ ص٣٩٠).

عاقبة التعامل بالربا في الدنيا والآخرة:

لقد حذرنا الله تعالى عاقبة التعامل بالربا فأكد ذلك نبينا محمد ﷺ في سنته المطهرة، وسوف أتحدث عن عاقبة الربا في القرآن الكريم والسنة المطهرة بإيجاز:

أولاً: عاقبة التعامل بالربا في القرآن:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» [البقرة: ٢٧٥].

قال ابن جرير الطبري: قال جل ثناؤه عن الذين يأكلون الربا أنهم لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. (أي: الجنون في الدنيا). (تفسير ابن جرير الطبري ج٣ ص١٠١).

قال سعيد بن جبير: آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنونًا يُخنقُ. (تفسير ابن جرير الطبري ج٣ ص١٠٢).

ويقول سبحانه: «يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» [البقرة: ٢٧٦].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى أنه يمحق الربا، أي: يذهبه، إما بأن يذهبه بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة، كما قال تعالى: «قُلْ لاَ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ» [المائدة: ١٠٠]، وقال تعالى: «وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [الأنفال: ٣٧]، وقال: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ» [الروم: ٣٩].

وقال جل شأنه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ» [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

قال ابن كثير: هذا تهديد شديد ووعيد أكيد، لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار، قال ابن جريج: قال ابن عباس: «فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ» أي: استيقنوا بحرب من الله ورسوله، وقال ابن عباس: يُقالُ يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب. ثم قرأ: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ». (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٩٦).

قال ابن عباس في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا»، إلى قوله: «فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»: فمن كان مقيمًا على الربا لا ينزعُ عنه، فحقٌ على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع، وإلا ضرب عنقه.

ثانيًا: عاقبة التعامل بالربا في السنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هن ؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات». (البخاري ح٢٧٦٦، ومسلم ح٨٩).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر

من دم فيه رجلٌ قائم، وعلى وسط النهرِ رجلٌ بين يديه حجارةٌ، فأقبل الرجلُ الذي في النهرِ، فإذا أراد الرجلُ أن يخرجَ رَمَى الرجلُ بحجرٍ في فيه، فردَّهُ حيثُ كان، فجعلَ كلما جاءَ ليخرجَ رَمَى في فيه بحجرٍ فيرجعُ كما كان، فقلتُ: ما هذا ؟ فقال: الذي رأيته في النهرِ آكلُ الربا». (البخاري ح٢٠٨٥).

وعن جابر رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ آكلَ الربا، ومؤكله، وكاتبهُ، وشاهديه، وقال: هُم سَوَاءٌ. (مسلم ح١٥٩٨).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله». (صحيح الجامع ح٦٧٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا سَبْعُونَ حُوبًا أيسرها أن يَنْكِحَ الرجلُ أُمَّهُ». (صحيح ابن ماجه ح١٨٤٤).

سبعون حوبًا: الحوب: الإثم، أي: سبعون نوعًا من الإثم. أيسرها: أي: أخف تلك الآثام؛ أن يجامع الرجل أمه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أحدٌ أَكْثَرَ من الربا إلاَّ كانَ عاقبةُ أمرِهِ إلى قِلَّةٍ». (صحيح ابن ماجه ح١٨٤٨).

أكثر من الربا: أي: أكثر ماله وجمعه من الربا.

حقيقة عمل البنوك الربوية

أخي القارئ العزيز: لكي تتضح لك حقيقة عمل البنوك الربوية، سوف أذكر بعض أقوال أهل اللغة والاقتصاد في تعريف البنك:

تعريف البنك في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: البنك: مؤسسة تقوم بعمليات الائتمان بالاقتراض والإقراض. (المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ج١، ص٧٤).

وجاء في الموسوعة الميسرة: مصرف أو بنك: تطلق هذه الكلمة بصفة عامة على المؤسسات التي تتخصص في إقراض النقود. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للدكتور علي السالوس ص١٣٢).

تعريف البنك عند علماء الاقتصاد

يقول الدكتور: إسماعيل محمد هاشم: يمكن تعريف البنك بأنه المنشأة التي تقبل الودائع من الأفراد والهيئات تحت الطلب أو لأجل، ثم تستخدم هذه الودائع في منح القروض والسلف. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للدكتور علي السالوس ص١٣٢).

ويقول الدكتور: محمد يحيى عويس: تتلخص الوظيفة الرئيسية للبنوك في المجتمعات في الجملة التقليدية أن البنوك تقترض لكي تقرض. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للدكتور علي السالوس ص١٣٣).

خلاصة القول: يقول الدكتور محمد عبد العزيز عجمية: يعرف البنك التجاري أو بنك الودائع عمومًا بأنه المنشأة التي تتعامل في الائتمان أو الدين. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للدكتور علي السالوس ص١٣٣).

يقول الدكتور علي السالوس - بعد أن ذكر تعريفات عديدة للبنك عند علماء الاقتصاد -: إن البنك يقوم بوظيفتين في إطار كونه تاجرًا للديون أو الائتمان: وهما الاقتراض من المودعين، والإقراض للمقترضين، ويدفع للمودعين ثمنًا محددًا، وهو الفائدة على الودائع ويتقاضى من المقترضين ثمنًا أعلى، هو فائدة الإقراض، والفرق بين الفائدتين، هو المصدر الأساسي لإيرادات البنك. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للدكتور علي السالوس ص١٣٤).

أخي المسلم: هكذا حكم الاقتصاديون على طبيعة عمل البنوك: أنها تقوم على الاقتراض من المودعين والإقراض للمستثمرين وغيرهم.

ربا الجاهلية وربا البنوك

سوف أتناول الحديث بإيجاز عن كل من ربا الجاهلية وربا البنوك:

أولاً: ربا الجاهلية:

قال ابن كثير: كانوا يقولون في الجاهلية - إذا حَلَّ أجل الدين: إما أن يَقْضِي وإما أن يُربي، فإن قضاه وإلا زاده في المدة وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرًا مضاعفًا. (تفسير ابن كثير ج٣ ص١٨٣).

ثانيًا: ربا البنوك:

يجب أن يعلم كل مسلم أن ربا البنوك والمصارف الموجود الآن هو ربا الجاهلية، ربا النسيئة، الذي حرمه الله تعالى في كتابه العزيز، حيث قال سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [آل عمران: ١٣٠]. (الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ج٤ ص٦٨٢).

إن معظم البنوك **تأخذ من المقترض فائدة (ربا)** بنسبة مئوية محددة **مقابل تأخير المال المقترض**، وتزداد هذه النسبة **كلما تأخر الشخص** المقترض

في رد المال حتى تصبح الزيادة أضعافًا كثيرة، وقد تكون أكثر من رأس المال الذي تم اقتراضه، وتقوم هذه البنوك أيضًا بدفع فائدة (ربا) بنسبة مئوية محددة ومسبقة كل عام للذين يضعون أموالهم في هذه البنوك.

وقفة هامة للتأمل:

إذا لم تكن فوائد البنوك هي الربا الذي حَرَّمَهُ الله تعالى في كتابه العزيز، وحرمه رسوله ﷺ في سنته المطهرة، وأجمع على تحريمه علماء المسلمين قاطبة، قديمًا وحديثًا، فأين هو الربا الحرام؟!

فوائد البنوك أسوأ من ربا الجاهلية:

يقول الدكتور علي السالوس (وهو يعقد مقارنة بين ربا الجاهلية وربا البنوك في وقتنا المعاصر): إن أهل الجاهلية كانوا يقرضون نقودًا فعلية، سلعية وهي الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، أما البنوك فإنها إلى جانب إقراض ما لديها من ودائع، تأخذ فوائد ربوية على ما خلقته من ائتمان أو نقود.

أما الفوائد في الجاهلية: فكانت تُحدد بالتراضي، كما يقول الجصاص (على ما يتراضون به)، أما المقترض من البنوك فتُفرض عليه الشروط ولا يملك تغييرها، فكان أهل الجاهلية يأخذون الفوائد في نهاية المدة أو مقسطة على أقساط شهرية، أما البنوك فإنها تحسب الفائدة وتخصمها مسبقًا قبل أن يأخذ المقترض القرض وينتفع به، والقروض في الجاهلية كانت تُستخدم في الاستثمار الفعلي، والتصدير والاستيراد، فالتجار كانوا يأخذون القروض لرحلة الشتاء والصيف، إلى جانب المضاربة، أما البنوك الربوية فإنها تقترض لتقرض المستثمرين كما هو طبيعة عملها، فهي لا تستثمر، ولا تقوم بأي لون من ألوان التنمية، أو المشاركة في عمارة الكون، وجلب الخيرات للبلاد والعباد، وهي في الإقراض تنظر للضمانات فقط، ولا يعنيها النفع أو الضرر. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصر للدكتور علي السالوس ص١٦٤-١٦٥).

المضاربة في الشريعة الإسلامية

أولاً: تعريف المضاربة: هي شركة بين صاحب رأس المال وعامل المضاربة، فصاحب رأس المال يشترك بماله، وعامل المضاربة يشترك بعمله، والربح يُقسم بين الاثنين بالنسبة المتفق عليها، والعامل يتصرف في المال باعتباره وكيلاً أمينًا، وليس مالكًا كالمقترض، وفي حال الخسارة، يخسر كل منهما جنس ما اشترك به، فصاحب المال يخسر مالاً، والعامل لا يأخذ شيئًا مقابل عمله، فهو يخسر العمل. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للدكتور علي السالوس ص٩٦٢).

ثانيًا: من هذا التعريف السابق للمضاربة نرى أن إطلاق لفظ المضاربة على البنوك التي تأخذ أموال المودعين وتعطيهم على ذلك فائدة محددة مسبقًا، لا يجوز لها ذلك، لأن البنك يعتبر ضامنًا لأموال المودعين، ومن المعلوم أن المضارب ليس بضامن للمال إلا إذا ثبت إهماله أو خالف شروط العقد.

قال ابن قدامة: متى شَرَطَ على المضارب (الشخص الذي يستثمر المال) ضمان المال، أو سهمًا من الوديعة، فالشرط باطل، لا نعلم فيه خلافًا. (المغني لابن قدامة ج٧ ص١٧٦).

هل يجوز تحديد مقدار معين من الربح مسبقًا لصاحب المال أو المضارب؟

يجب أن يكون من المعلوم أنه لا يجوز تحديد مقدار معين من الربح مسبقًا لصاحب المال أو المضارب (العامل الذي يشارك بجهده وعمله فقط في المضاربة).

عن رافع رضي الله عنه قال: كنا أكثر أهل المدينة حقلاً، وكان أحدنا يُكري (يؤجر) أرضه فيقول: هذه القطعة لي، وهذه لك، فربما أخرجت ذه (هذه) ولم تخرج ذه (هذه)، فنهاهم النبي ﷺ. (البخاري ح٢٣٣٢، ومسلم ح١١٧).

وعن رافع بْن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع قال ظهير: لقد نهانا رسول الله ﷺ عن أمرٍ كان بنا رافقًا، قلت: ما قال رسول الله ﷺ فهو حق، قال: دعاني رسول الله ﷺ قال: «ما تصنعون بمحاقلكم؟» قلت: نؤاجرها على الربع وعلى الأوسق من التمر والشعير. قال: «لا تفعلوا، ازرعوها أو أمسكوها». قال رافع: قلت: سمعًا وطاعة. (البخاري ح٢٣٣٩، ومسلم ح١١٤).

استدلالاً بهذين الحديثين، ذهب أهل العلم إلى عدم جواز تحديد قطعة من الأرض بأخذ صاحب الأرض ريعها، وكذلك عدم تحديد مقدار من الزرع يأخذ صاحب الأرض، بل يأخذ نسبة معينة من عموم ما تخرجه الأرض، وإذا كان هذا الكلام شرطًا لصحة المزارعة فهو شرط أيضًا لصحة

المضاربة وسائر أنواع الشركات.

أقوال أهل العلم

يقول ابن القيم: المزارعة من جنس الشركة، يستويان في الغنم والغُرم، فهي كالمضاربة. (عون المعبود شرح سنن أبي داود ج٩ ص٢٠٠٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله (وهو يتحدث عن المضاربة الشرعية): وما قسم الله من الربح كان بينهما (أي بين صاحب المال والمضارب الذي يستثمر المال) على الإشاعة ؛ ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر ؛ لأن هذا يخرجهما عن العدل الواجب، في الشركة، وهذا هو الذي نهى عنه النبي ﷺ من المزارعة فإنهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها وهو ما ينبت على الماذيانات (جوانب الأنهار) وأقبال الجداول ونحو ذلك، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، ولهذا قال الليث بن سعد وغيره: إن الذي نهى عنه ﷺ هو أمرٌ إذا نظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم أنه لا يجوز ؛ أو كما قال. فبين أن النهي عن ذلك موجب القياس فإن مثل هذا لو شرط في المضاربة لم يجز ؛ لأن مبنى المشاركات على العدل بين الشريكين فإذا خُصَّ أحدهما بربح دون الآخر لم يكن هذا عدلاً بخلاف ما إذا كان لكل منهما جزء شائع فإنهما يشتركان في المغنم وفي المغرم فإن حصل ربح اشتركا في المغنم وإذا لم يحصل ربح اشتركا في الحرمان وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا، ولهذا كانت الوديعة على المال لأن ذلك في مقابله ذهاب نفع العامل. (مجموع فتاوى ابن تيمية ج٢٠ ص٥٠٨).

الفرق بين القرض الإنتاجي والمضاربة الشرعية

القرض الإنتاجي يُحدد له فائدة ربوية للمبلغ المقترض، والزمن الذي يستغرقه القرض، كأن يكون ١٠ في المائة من رأس المال سنويًا، بغض النظر عما ينتج عن هذا القرض من كسب كثيرًا أو قليلاً أو خسارة، والعلاقة بين صاحب القرض وآخذه ليست من باب الشركة، فصاحب القرض له مبلغ معين محدد، ولا شأن له بعمل من أخذ القرض، ومن أخذ القرض يستثمره لنفسه فقط، حيث يملك المال ويضمن رد مثله مع الزيادة الربوية، فإن كسب كثيرًا فلنفسه، وإن خسر، تحمل وحده الخسارة.

وأما في المضاربة، فالربح الفعلي يقسم بين صاحب رأس المال والمضارب بنسبة متفق عليها، والمضاربة شركة فيها المغنم والمغرم للاثنين معًا، فالمضارب - العامل - لا يملك المال الذي بيده وإنما يتصرف فيه كوكيل عن صاحب رأس المال مهما قل أو كثر - يقسم بينهما بالنسبة المتفق عليها، وعند الخسارة، يتحمل رأس المال الخسارة المالية، ويتحمل العامل - المضارب - ضياع جهده وعمله ولا ضمان عليه. (فقه البيع والاستيثاق للدكتور علي السالوس ص٢٨١: ٢٨٢).

البنوك الإسلامية ومجالاتها الاستثمارية

إن البديل عن البنوك الربوية هو إنشاء الكثير من البنوك الإسلامية التي يمكن أن تستثمر أموال المسلمين بالطرق الشرعية التي أباحها الله تعالى وأباحها لنا نبينا محمد ﷺ، وهنا يأتي سؤال هام: كيف تستطيع هذه البنوك الإسلامية أن تستثمر الأموال بالطرق الشرعية؟

فنقول وبالله تعالى التوفيق: يجب أولاً: أن يكون لكل بنك لجنة من علماء الشريعة المتخصصين، يقومون بالإشراف على مشروعات البنك يراقبون تصرفاته ويوضحون كل ما هو حلال وحرام من المعاملات، وبالنسبة لكيفية استثمار الأموال، فهناك مجالات استثمارية كثيرة، تستطيع البنوك الإسلامية أن تستثمر فيها هذه الأموال، ومن هذه المجالات، على سبيل المثال:

شركة المضاربة الإسلامية

وذلك بأن يأخذ البنك الإسلامي الأموال كمضارب (أي: عامل) ثم يتاجر أو يصنع أو يزرع أو يعمل أي عمل يُقره الإسلام، وناتج الربح يُقسم بين البنك وبين أصحاب الأموال بنسب متفق عليها، وفي حالة الخسارة، يتحملها أصحاب المال وحدهم، ما لم يتبين أن الإهمال كان من جانب البنك، ويخسر البنك عمله ومجهوده.

ويمكن أن يدخل البنك في شركة المضاربة كصاحب رأس المال والعميل كمضارب ويقسم الربح بينهما حسب الاتفاق، وفي حالة الخسارة يتحملها البنك وحده، ما لم يثبت إهمال المضارب، وأما المضارب نفسه فيخسر عمله ومجهوده. (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة للسالوس ص٥٣١-٥٤٣).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن الدين عند الله الإسلام

إعداد/ شوقي عبد الصادق

الحمد لله الذي أتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام دينًا، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وتعبدهم بدين الإسلام، كما قال تعالى: «وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينـاً» [المائدة: ٣]، وجعل سبحانه وتعالى ما عداه كفرًا وضلالاً، كما قال: « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »[آل عمران: ٨٥]، والإسلام هو الدين الوحيد لأسباب وحكم أوردها الله تعالى في كتابه بيانها كما يلي:

أولاً: هو دين أهل السماوات والأرض

فقد قال تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» [آل عمران: ١٩].

يقول ابن كثير - رحمه الله -: هو إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق الموصلة إليه سبحانه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبل كما قال تعالى: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»، وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام، وابن عباس قرأها: «شهد الله إنه لا إله لا إله إلا هو والملائكة وألوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الإسلام» بكسر (إنه) وفتح (أن الدين عند الله الإسلام) أي: شهد هو وملائكته وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام، والجمهور قرؤوها بالكسر على الخبر وكلا المعنيين صحيح، ولكن هذا على قول الجمهور أظهر. [الشيخ السعدي ص١٢٥].

وقرأها الكسائي بفتح «أن الدين عند الله الإسلام». والإسلام هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله وحثت عليها كتبه، وهو الدين الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهو دين الرسل كلهم، وقد أنكر الله تعالى على من أراد دينًا سوى هذا الدين المتقبل عند الله كيف يشذ عن الكون كله؟ فقال تعالى: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» [آل عمران: ٨٣]، فالجميع مستسلم لله سبحانه، فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه والكافر مستسلم لله كرهًا، وعن ابن عباس في قوله تعالى: « وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ». قال: حين أخذ الميثاق.

فكيف يبغي عاقل اليوم دينًا غير الدين الذي اختاره أهل السماوات والأرض؟ وكما أنكر الله سبحانه على من اختار غير الإسلام دينًا أثنى ثناءً حسنًا على من دان بالإسلام وأسلم الوجه له سبحانه، فقال: «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً» [النساء: ١٢٥].

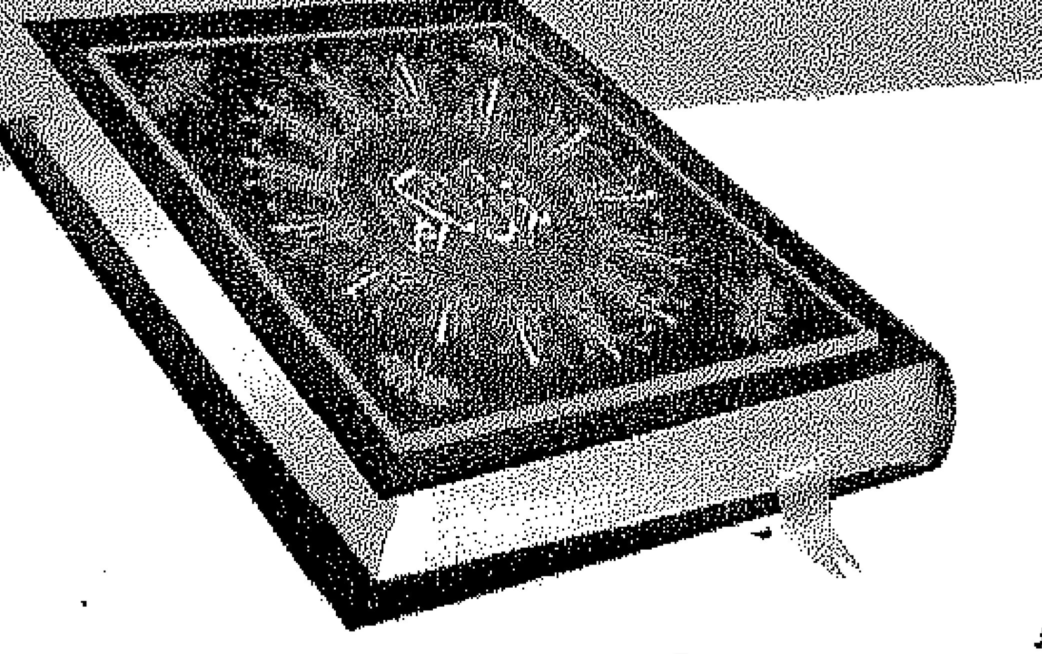
وذكر ابن كثير عن ابن عباس في هذه الآية: قال تخاصم أهل الأديان فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال أهل الإسلام: لا دين

إلا الإسلام وكتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم النبيين.. وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا فقضى الله بينهم، وقال: «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ»، وخير بين الأديان فقال: «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» [ابن كثير: ١/٧٦٥].

والله الذي فلق النوى لا أحد أحسن دينًا منه، وقد وعد الله من اختار الإسلام وأسلم وجهه لله بأعظم الأجر، فقال تعالى: «بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ» [البقرة: ١١٢]، وأسلم وجهه يعني: أخلص دينه وهو محسن، أي متبع للرسول ﷺ ، فإن شرط العمل المتقبل أن يكون خالصًا لله، وأن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، والإسلام هو دين الملائكة وشهدت بذلك.

ثانيا: هو دين الأنبياء

فهذا إبراهيم عليه السلام أمره الله تعالى بالإخلاص والاستسلام والانقياد، فأجاب: «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» [البقرة: ١٣١]، بل إن إبراهيم عليه السلام لم يكتف بأن يسلم هو فأوصى ابنيه وهما نبيان أيضًا: «وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٢]، وكذلك يعقوب حفيد إبراهيم عليه السلام هو نبي وصّى أبناءه لما حضرته الوفاة أوصاهم بالإسلام حتى الموت، فقال تعالى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة: ١٣٣]، ويعقوب هو إسرائيل، ويأمر بالإسلام ويوصي به أبناءه، وأبناء إسرائيل يشهدون جميعًا أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب كان دينهم جميعًا الإسلام، وهم كذلك مسلمون، فالإسلام ليس دين العرب، ولكن دين العرب والعجم والإسرائيليين المنتسبين حقًا إلى نبي الله يعقوب - إسرائيل - وهو الدين الذي اختاره إبراهيم لنفسه ولأبنائه ودعا الله أن يجعله على ذلك الدين، قال تعالى: «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ



الرَّحِيمُ» [البقرة: ١٢٨].

وهذا نبي الله سليمان عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل يقر بأن دينه هو الإسلام: «فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» [النمل: ٤٢]، وقالت ملكة سبأ: «إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، وكذلك قوله تعالى في جميع الأنبياء بأنهم مسلمون، قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» [المائدة: ٤٤]، والشاهد من الآية الكريمة قوله تعالى: «النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» أي: كلهم.

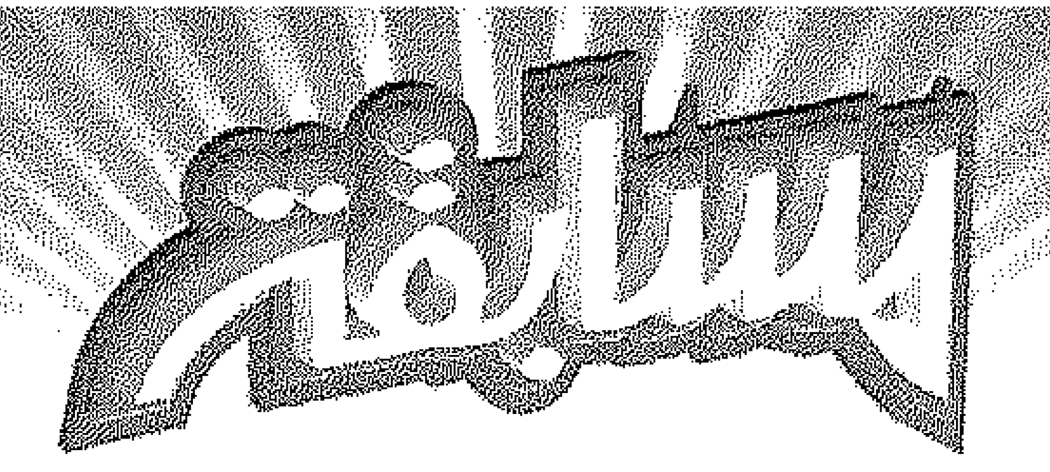
وهذا رسولنا ﷺ يعلنها أنه أول المسلمين من هذه الأمة مثل إخوانه النبيين، قال تعالى: «فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» [آل عمران: ٢٠]، وقال تعالى: «قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [الأنعام: ١٤].

هو أول المسلمين من هذه الأمة، وأمته ﷺ، هي كل الناس الموجودة من يوم بُعث وسمعت به ؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يَسْمَعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أهل النار». [مسلم ١٣٥].

وقال ﷺ: «بُعثت إلى الأحمر والأسود». [مسلم ٥٢١].

وقال ﷺ: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة». [البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢١].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.



القرآن الكريم و جدول مسابقة السنة النبوية

مسابقة القرآن الكريم

يسر إدارة شئون القرآن الكريم بالمركز العام أن تعلن عن مسابقة القرآن الكريم السنوية على النحو التالي:
١- المستوى الأول: حفظ القرآن كاملاً حفظاً وتجويداً، مع تفسير (سورة النور). ٢- المستوى الثاني: حفظ القرآن الكريم كاملاً حفظاً مجوداً. ٣- المستوى الثالث: حفظ عشرين جزءاً حفظاً مجوداً. ٤- المستوى الرابع: حفظ عشرة أجزاء حفظاً مجوداً. ٥- المستوى الخامس: حفظ خمسة أجزاء حفظاً مجوداً.

مواعيد اختبار المسابقة

يوم السبت	٢٥ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ١٨ / ٧ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الأول
يوم الأحد	٢٦ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ١٩ / ٧ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الثاني
يوم الاثنين	٢٧ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الثالث
يوم الثلاثاء	٢٨ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ٢١ / ٧ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الرابع
يوم الأربعاء	٢٩ رجب ١٤٣٠هـ الموافق ٢٢ / ٧ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الخامس

جوائز المسابقة

المستوى / الفائزون	الفائز الأول	الفائز الثاني	الفائز الثالث	الفائز الرابع	الفائز الخامس	من السادس إلى العاشر
المستوى الأول	١٥٠٠ جنيه	١٣٠٠ جنيه	١١٠٠ جنيه	٩٠٠ جنيه	٧٠٠ جنيه	٥٠٠ جنيه لكل واحد
المستوى الثاني	١٢٠٠ جنيه	١٠٠٠ جنيه	٨٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٣٠٠ جنيه لكل واحد
المستوى الثالث	٨٠٠ جنيه	٧٠٠ جنيه	٦٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٣٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه لكل واحد
المستوى الرابع	٦٠٠ جنيه	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٣٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه	١٠٠ جنيه لكل واحد
المستوى الخامس	٥٠٠ جنيه	٤٠٠ جنيه	٣٠٠ جنيه	٢٠٠ جنيه	١٠٠ جنيه	٥٠ جنيهاً لكل واحد

شروط المسابقة

١- ألا يزيد عمر المتسابق في المستويين الأول والثاني عن ٣٠ عاماً وفي الثالث عن ٢٥ عاماً، وفي الرابع عن ٢٠ عاماً، وفي الخامس عن ١٥ عاماً.
٢- ألا يكون قد سبق له الفوز في المستوى المتقدم إلى التسابق فيه أو الأعلى منه.
٣- يرفق المتسابق صورة الهوية التي تحمل تاريخ ميلاده.
٤-آخر موعد لقبول كشوف الأسماء من الفروع يوم الأربعاء ٢٤ من جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ الموافق ١٧ / ٦ / ٢٠٠٩م.
٥- تقدم الكشوف في الدور السابع بالمركز العام للأستاذ/ محمد مسعد - بمجلة التوحيد.

جدول مسابقة السنة النبوية

يوم السبت	٨ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ الموافق ٤ / ٤ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الأول
يوم الأحد	٩ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ الموافق ٥ / ٤ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الثاني
يوم الاثنين	١٠ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ الموافق ٦ / ٤ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الثالث
يوم الثلاثاء	١١ ربيع الآخر ١٤٣٠ هـ الموافق ٧ / ٤ / ٢٠٠٩م	اختبار المستوى الرابع

علماً بأن المطلوب حفظ نصوص الأحاديث مضبوطة بالشكل، مع معرفة الصحابي راوي الحديث والكتب والأبواب، ومعاني المفردات، وما يستفاد من الحديث، وذلك في جميع المستويات. والله الموفق


الآن
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
التوحيد
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
١٤٢٩
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
لعام ١٤٢٩ هـ
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار